المشرق

يوبيل
اخويَّة العمَلـة البيروتيَّة

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

نو اقبل رجل من اهل الثغر في ظهيرة كلّ يوم أحـد الى مقام كنيستنا البيروتيَّة لرأى عددًا وافرًا من عَمَلة البلد يتزاحمون عند مدخلها واكثرهم لابسون ثيابهم المنبئة بحالة فقرهم الّا انَّها نظيفة لائقة بيوم الربّ وهي افخرُ ما لديهم

فان سألت مَنْ هولاء القوم وماذا يقصدون بدخولهم الى الكنيسة اجابك كلّ منهم بلا تلجلج: أنّنا قدمنا لحضور اخويَّة العملة المنسوبة الى الامّ الحزينة

فادخل ان شئتَ معها تجدهم ينفذون الى كنيسة المدرسة فلا تلبث حتى تغصّ بهم مع رحبها . ثمّ تبتدئ بعد قليل رياضات تقويَّة يتلونها جملةً ويعقبها خطابٌ ديني يلقيهِ عليهم مرشدهم احد آباء الكليَّة وتُمنَح في اثره بركة القربان الاقدس او تُزيَّح صورة الامّ الحزينة بينما تصدح موسيقى الاخويَّة ويتغنَّى القوم بملّ فيهم ومن صميم قلوبهم بمديح العذراء الطاهرة او ينشدون الاناشيد الروحيَّة التي تُعرب عن ايمانهم وتقاهم . فاذا تمَّت الحفلة انفرط سلك جمعهم وعادوا الى بيوتهم يتحادثون عمّا رأوا وما سمعوا بينما تتفاوض العمدة مع المرشد في شؤون الاخوة

فهذه الاخويَّة قـد بلغت في العام الحالي السنة الخمسين لانشائها وهي ثابتة في رياضاتها المبرورة واعمالها المشكورة فأحبَّت ان تستوقف سيرها حيناً لتنظر ما قطعتهُ من الشوط ليس ملالًا او تباهياً بل لتشكر الله على ما اسبغ عليها من النعم وتجديدًا

لتواها بذكر من سبق فتقدّس في هذه الشركة الصالحة فتستأنف سيرها بنشاط مقتفية آثارهم جاريةً على امثالهم . فتحقيقاً لهذه الغاية نذكر اوّلًا لابنائها الاب الذي اختارهُ الله ليُنشيء جمعيّتهم ويؤلّف شتاتها بهمّتهِ ثمّ نبيّن كيف قام هذا العمل على يدهِ فنمت حبّة الخردل وزكت واضحت شجرة باسقة ممتدّة الاغصان وارفة الظلّ ونختم بذكر المشروعات التي لحقت بهذه الاخوية والفروع التي تفرّعت منها فعاد اليها فضلها

١ منشئ اخوية الامّ الحزينة

أترى هذه الصورة التي اثبتنا لك رسمها في مفتتح مقالتنا . تأمّلها تجدها ممثلةً للحزم والرقّة للشدّة واللطف معاً . جبهةٌ واسعة مرقومة عليها الروّية والتفكير في المساعي الصالحة . عينان زرقاوان تنفذان الى قلب الناظر . ثغر باسم يجذب اليهِ من يراهُ . وجنتان قاحلتان كانهما لاحد نسّاك البراري او زهّاد الصعيد . بنية مهيبة وقامة طويلة كما لرئيس جيش تسعى وراءهُ جيوش منظّمة يقودها الى الحرب والانتصار

تلك صورة منشيء اخويّة الامّ الحزينة الطيّب الذكر الاب يوحنّا فيوروفتش الدلماطي الراهب اليسوعي والمرسل الغيور

بلاد دلماطية داخلة في اعمال النمسا وهي مجاورة لبحر الادرياتيك بازاء ايطالية ومعظم اهلها من العنصر الصقلبي كأهل الاقطار المجاورة لهما من كرواتية والجبل الاسود والصرب وهم القوم المتازون باصالة الرأي والنشاط والثبات في العمل . ولمجاورة الدلماطيين البحر قد اعتادوا في كلّ آن خوض غمراتهِ سواء كان للارتزاق من الصيد او لتجشّم الاسفار البعيدة تزاد ذلك في جَلَدهم وقوّة بنيتهم

ففي حاضرة تلك البلاد وفرضتها الكبيرة على البحر المدعوّة راغوزة كان مولد يوحنّا فيوروفتش في ٢٠ ك ١ سنة ١٨١٩ وكان ابواهُ كاثوليكيين لكنّ حروب تلك الازمنة كانت نكأت فيها وألصقتهما بالدقعاء . فنشأ الولد فقيراً يتحمّل في صغرهِ مضض العوز والفاقة كأنّ الله اراد ان يذيقهُ منذ نعومة اظفارهِ مرارة الفقر ليشفق بعدئذٍ على ذوي البأساء

فما بلغ الحدث سنّ الرشاد وارتشف جرعةً من مبادئ العلوم حتى اضطرّ والدهُ الى ان يختار لهُ حرفةً يرتزق منها ويلطّف نوعاً اعباء الفقر عن عائلتهِ . فلبّى الصغير الى

دعوة والده وبعد التجربة وجد ان اللاحة احسن فنّ يزاوله فاخذ مذ ذاك الحين يتجوّل في سواحل وطنه في خدمة غيره من البحريين يقذف القوارب وينصب القلوع ويكافح الرياح ويصادم تيّار البحر حتى اصبح بعد قليل من احذق مواطنيه في فنه فاتخذ له سفينة شراعيّة على حسابه وجعل يتنقّل في البلاد المجاورة ثمّ استسلم للعناية الالهيّة وابعد في اسفاره حتى بلغ الى سواحل ايطالية ثمّ تخطّى الى شواطئ تركيّة بل الى ثغور سوريّة فزارها كتاجر قبل ان يتعاطى فيها تجارة اعظم واشرف فيتاجر للسماء دررًا ثمينة تردان بها ديار الخلود

وكان جهاد يوحنّا في سبيل المعاش وركوبه البحار ومعاناته للمشاقّ والمخاطر في زمن كانت البواخر قليلة قد قوّى جنانه وصلّب اعضاءه وضاعف عزائمه فكان يزدري بالاخطار ويبطش بكل من حاول التعرّض له في مزاولة اشغاله وكان مع ذلك رقيق القلب لا يرى بائسًا الّا تعطّف عليه وبرّه على قدر استطاعته فاستحقّ ان يرحمه الله كما رحم قريبه

بقي يوحنّا عشرين سنة يمارس تلك المهنة الشاقّة وهو لا يكاد يبالي بامر نفسه ولا يفكّر الّا في الربح الزمني غير انّه كان يلوذ من حين الى آخر بحماية مريم العذراء الملقّبة بنجمة البحر ولا سيما اذا أصيب بنكبة عظيمة. وذلك ما حدث له يومًا اذ ثارت على سفينته الانواء ليس بعيدًا عن الاستانة وقويت عليها الرياح فزقّت الشُرُع وصدمت السفينة بالصخور فتحطّمت ولولا شفاعة السيّدة البتول التي استغاثها لذهب الربّان ضحيّة ذاك النوء الهائل فنجا بعد شقّ النفس والتجأ الى دير قريب للآباء اللعازريين الذين رثوا لحاله واووه مدّة حتى ثابت اليه قواه وامكنه ان يعود الى شغله

لكنّ هذا الحادث كان استوقف فكرته وانار عقله فادرك عطب هذه الحاضرة وشرف الحياة الآخرة فرحض نفسه بالاسرار المقدّسة ورجع الى وطنه ليمارس حرفته بتقيّ لكنّه كان لم يزل يشعر في قلبه داعيًا يبغض اليه نظام الدنيا ويدفعه الى الزهد بها حتى قرأ يومًا فصلًا من كتاب الاقتداء بالمسيح أثّر فيه ايّ تأثير فحمله الى تحقيق نيّته وبعد ان طلب مشورة احد الرهبان الفرنسيسيين سافر الى رومية واعتزل بضعة ايّام في احد اديرة الآباء اليسوعيين منقطعًا الى الرياضات الروحيّة رغمًا عمّا كان يجد في ذلك من الثقل والملل لكنّه لم يلبث ان عرف دعوته وشعر في نفسه بفرح

وسكينة ضمير لم يألفهما سابقاً فطلب الانضواء الى الرهبانيّة اليسوعيّة فأُجيب الى ملتمسه في ٤ من شهر ايّار سنة ١٨٥٢ فعدَّ تلك النعمة من سوابغ نعم الله عليه وانقلب رجلاً جديداً في المسيح

وكان الرئيس العام على الرهبانيّة اليسوعيّة في ذاك الوقت رجلاً عريقاً في البرّ والصلاح اسمهُ الاب بطرس بكس فاستدعى الطالب الجديد واذ تحقَّق دعوتهُ وما طُبع عليهِ من السجايا الطيّبة الموافقة للرسالات الاجنبيّة وعرف انَّهُ سافر الى سوريّة عرض عليهِ ان يُعدّ نفسهُ للاعمال الرسوليّة في تلك البلاد . وكانت الرسالة السوريّة اذ ذاك حديثة العهد وهي في حاجة ماسّة الى مرسلين غيورين يشتغلون بانشاط في كرم الربّ . فسُرَّ يوحنّا بما قيل لهُ ودخل في اقليم ليون الذي عُهدت اليه شؤون تلك الرسالة

قضى يوحنّا ستّ سنوات في فرنسة ليعمّق في قلبه اساس الفضائل الرهبانيّة التي تؤهّلهُ لاعمال المرسلين وكان رئيسهُ في دير الابتداء راهباً بالغ القداسة وهو الاب دي فورستا (de Foresta) منشئ المدارس الرسوليّة التي اغنت الرسالات الاجنبيّة بعدد عظيم من اماثل المرسلين فهذا معلّم السيرة الروحيّة وخلد في قلب تلميذهِ فيروزقتش دعائم الفضيلة وبذل الذات . واذ فتكت الحمّيات الخبيثة بعدد من المبتدئين لم يجد الاب دي فورستا مساعداً اعظم في تمريضهم من يوحنا فكأنهُ وطّن نفسهُ مذ ذاك الحين على خدمة المطعونين كما فعل في سوريّة غير مرّة

وبعد نجازهِ رياضات المبتدئين ابرز نذورهُ الاولى ثم انقطع مدّة اربع سنوات فقط الى درس الآداب والفلسفة واللاهوت فنال منها حاجتهُ لخدمة النفوس في الرسالات دون ان يتعمّق بها كما هو شأن الرهبان اليسوعيين الذين يقضون في إحرازها عشر سنوات وانّما تساهل الرؤساء معهُ في ذلك لتقدمه في السنّ ولحاجة رسالة سوريّة الى عمّة جدد

ففي سنة ١٨٥٨ رُقّي الاخ فيروزقتش الى درجة الكهنوت المقدّسة ثمَّ أُرسل الى بلاد الشام فسكن في مدرسة غزير سنتين كمعلّم وناظر على التلامذة وكان في اوقات الفراغ يدرس العربيّة الّا انَّ همّتهُ الاكبر كان ان يترجم عن افكارهِ في هذهِ اللغة دون درس اصولها لزعمه انَّ ذلك نحوٌ والنحو لا تفهمهُ العامّة . ومع هذا

تمكّن نوعاً في تلك الاثناء من غايته بكثرة اختلاطه مع صغار المدارس وخدمة الدير والفقراء

وبينما كان متفرّغاً لاعماله الصالحة في تهذيب الشبيبة اذ حدثت في دمشق وفي انحاء لبنان تلك المذابح التي اسالت دماء النصارى كالسيول فقُتل منهم ظلماً نيف وخمسة عشر الف رجل فتزمّلت النساء واضحى عدد عديد من الصغار ايتاماً يتضرّرون جوعاً ففُتحت عدّة مياتم بهمّة المرسلين اللاتينيين والراهبات الفرنسويّات اجتمع فيها مئون من هؤلاء الايتام الذين نجوا بفضل المحسنين من موت الجسد وفساد الاخلاق . وكان ميتم اليسوعيين في بيروت من اعظم هذه المآوي الخيريّة

واذ عرف الرؤساء حسن عناية الاب فيوروڤتش بتربية الصغار وحنانه عليهم دعوهُ الى بيروت ليهتمّ بأولئك الاحداث فعُني بامرهم مدّة سنتين وكان لهم بمثابة والديهم الطبيعيين بل اعطف منهم اذ قرن بين تهذيبهم الادبيّ وتربية اجسادهم

وفي السنة ١٨٦٢ جمعوا هؤلاء الايتام في ابنية واسعة شيّدوها لهم في معلّقة زحلة لضيق دير بيروت وغرف التلامذة في مدارسه . فبقي الاب فيوروڤتش خالياً من همّهم متفرّغاً لاعمال الرسالة وحدها . فجعل يعود المرضى ويزور الفقراء فما لبث ان رأى عدداً من العمّة والساكين لا يفي بهم احصاء يتواردون الى بيروت لطلب المعاش فلا يهتمّ احد بشؤونهم الروحيّة فيعيشون عيشة البهائم ويفتقدون بعد قليل ما طُبعوا عليه من الاخلاق الرضيّة باعمالهم الدين وابتعادهم عن الاسرار المقدّسة

فتمّ هذا الامر المرسلَ الغيور واخذ يبحث عن الوسائل الكافلة بحفظ هؤلاء المنكودي الحظ من عدوى الاثم ووباء الكفر فلم يجد وسيلةً اقرب الى تحقيق امانيه من انشاء اخوية تقويّة على اسم السيدة الطاهرة تجمع فيها العملة ويرشدهم بواسطتها الى البرّ والسيرة الحميدة

وكان الآباء اليسوعيّون قد عرفوا بالاختبار ما ينجمُ من الخير عن هذه الشركات الصالحة فانشأوا في ديرهم القديم سنة ١٨٥٢ اخويّة على اسم العذراء البريئة من الخطيئة الاصليّة لاعيان البلدة واواسط القوم . وكذلك عادوا فباشروا باخويّة ثانية لنساء البلدة في سنة ١٨٦١ . فنجح العملان كلاهما ايّ نجاح واثمرا الثمار الشهيّة لخير النفوس ولمجد الكنيسة

على انَّ جلب هؤلاء العملة الى ممارسة رياضات تقويَّة لم يكن امرًا يسيرًا وهم غالباً منهمكون في الاشغال المادِّيَّة غائصون في بحر الهموم الزمنيَّة لتدبير عيالهم وسدّ عوزهم اليوميّ . فألهم الله الاب يوحنَّا بان يستعين ببعض اعضاء اخويَّة الحبل بلا دنس ليقترب من قلب البائسين ويكتسب ثقتهم . فوجد بين اولئك الافاضل من اجابوا بطيب خاطر الى دعوته وخصوصاً احد رجال الخير الذي لهُ حصَّة في كلّ عمل صالح أنشئ في البلدة جناب المُهام نقولا افندي قاطي . فكان الاب فيوروفتش يتردَّد الى اسواق بيروت وبرفقته هؤلاء الاماثل فيستخبر عن احوال العَمَلة وعن عيالهم واولادهم ويمدُّ اليهم يد المساعدة عند حاجتهم حتى امكنهُ شيئاً فشيئاً ان يجذبهم الى الكنيسة ويلقي عليهم بعض الارشادات ويلقّنهم واجبات دينهم ويغذّي ضمائرهم بسرّ الاعتراف ويوزّع عليهم بعض الادوات التقويَّة كالصور والمسابح والصلبان ويحضّهم على ان يأتوا اليه باصحابهم

فبقي على ذلك اشهرًا حتى كثر عدد هؤلاء العملة وعلموا ما يكنُّهُ قلب المرسل الفاضل من الحبّ لهم . فعرض عليهم انشاء اخويَّة منظَّمة يجتمع ذووها مرَّة في الاسبوع ليقيموا فرائض العبادة لمريم العذراء فتبسط امّ الله حمايتها عليهم وعلى افراد عيالهم . فرَضُوا بذلك ومن ثم نشأت اخوية العذراء لهؤلاء العملة واتخذ لهم مرشدهم الامّ الحزينة كشفيعة خاصة ليقتدوا على مثالها اوجاعهم واتعابهم وينالوا من سراحها النعم في بلاياهم

هكذا ابتدأ ذاك المشروع الخطير الذي جملهُ صاحب الترجمة في مقدِّمة كلّ همهِ نحو ٣٨ سنة ولم يزل يسعى في تحسينهِ وترقيتهِ حتى اضحى من اجل الاعمال الرسوليَّة التي تُعنى بها رسالتنا واجداها نفعاً لخلاص نفوس العمال كما سترى في الفصل الآتي بعد انتهائنا من خلاصة سيرة منشئهم البارّ

ولم يقصر المذكور نظرهُ على ابناء اخويَّتهِ بل كانت غيرتهُ تعمّ الجميع بلا استثناء . وكان ذلك يظهر خصوصاً في استماعهِ اعترافات الخطأة فانَّهُ كان يفتح لهم قلبهُ كالمسيح سيّدهِ دون محاباة بالوجوه فيتقبَّل بكل لطف الصغار والكبار الاغنياء والفقراء بل كان قلبهُ يرقُّ شفقةً ويتطاير فرحاً اذا اتاهُ احد كبار المجرمين متذكّرًا قول الربّ عن الفرح الذي يشمل ملائكة السماء بتوبة احد الخطأة فكان يثني على

قصده وينشط همته ويسهل له الاقرار بخطاياه ويلقي عليه الاسئلة ليخفف عنه مؤونة فحص ضميره واذا اتمّ اقراره نصحه بالنصائح الابوية وبيّن له كم هو خفيف نير الربّ وحفظ وصاياه ثم يزنم عليه قانوناً سهلاً ليعود ثانيةً الى طبيبه الروحي . وكثيراً ما كان يفرض على التائب بان يأتيه باحد اصحابه فيتخذه كوسيلة لارتداد غيره من الأثمة . وقد عرفنا كثيرين من وجوه البلدة انفسهم الذين ما كانوا يحبّون ان يكشفوا ضميرهم الى غير الاب يوحنا فيوروفتش

وكانت غيرته تلك تتضاعف في ايام تفشي الامراض الوبائية حينما كان كثيرون من المسئولين يفرّون هاربين فكان هذا الراعي الصالح يبذل نفسه في خدمة المصابين لاسيما في عدوى الهواء الاصفر التي ظهرت مرتين في بيروت سنة ١٨٦٥ و١٨٧٥ وفتكت بالاهلين فتكاً ذريعاً فان الاب فيوروفتش درس هذا الداء درساً خصوصياً حتى يتسنّى له ان يساعد الفقراء في غيبة الاطباء. وقد كتب في ذلك رسالة طُبعت في مطبعتنا البيروتية واتى علاجه بنتائج حسنة جداً . وكان في تلك الايام يقضي نهاره متنقلاً في احياء المدينة فيعود بعد المغرب عيّاً منهوك القوى . وكان يسير الى حيثما يطلبه المصابون فيهتمّ بالروح والجسد معاً وقد استدعاه غير الكاثوليك ايضاً كالروم والمسلمين واليهود فاجاب الى طلبتهم دون تريث وكان يوزّع عليهم الادوية مجّاناً . وقد ردّ حينئذٍ الى الله كثيرين من الخطأة الذين تمادوا في الجهل حتى انّه كان يقول : انّ الهواء الاصفر خير المرسلين وافضل المنذرين . وكان هو يعرّض نفسه للموت في كلّ ساعة مع اخوته الرهبان فلم يُصب منهم واحد بالوباء بنعمة خاصّة من الله . وقد عرفت الحكومة الفرنسوية لهم فضلهم فاهدتهم اوسمةً شكراً على مروّتهم امّا الاب فيوروفتش فاسرع وباع وسامه وأنفق ثمنه على المحتاجين

ثمّ رأى الاب يوحنا بؤساً آخر يستدعي همته في بيروت فما كان منه الّا ان قصد تلطيفه زيد بؤس المحبوسين فانّه تمكّن برخصة ارباب الامر من زيارتهم فرأى كثيرين منهم في اسوإ الاحوال مادّياً وادبياً فاخذ يتردّد عليهم لاسيما في الاعياد الكبيرة ويرشدهم ويعزّيهم ويمنحهم الاسرار المقدّسة ثمّ شرع يستعطي لهم ويجمع الحسنات عند اهل الكرم فيوزّع عليهم الملابس والاطعمة والدراهم ويوصي بهم حرسهم . فكانوا يعدّون يوم مجيئه اليهم كموسم عظيم . وعلى مثاله يجري اليوم خلفه

وكان في جوار بيروت معامل حرير يتوارد اليها العملة من لبنان في بعض فصول السنة فسأل الاب فيوروڤتش اصحاب تلك المعامل ان يأذنوا لهُ بارشاد اولئك الفعلة مرَّة او مرَّتين في الاسبوع فوقع عملهُ احسن موقع لديهم اذ تحقَّقوا انَّ العمَّال يزيدون امانةً ونشاطاً على قدر ازدياد روح الدين في قلوبهم وكثيرون منهم قد اعتادوا مذ ذاك الحين الى يومنا ان يأتوا صباح الاحد الى كنيستنا فيتمموا واجباتهم الدينيَّة بكل تدقيق

ولمَّا انتشر صيت الاب فيوروڤتش في انحاء لبنان استدعاهُ الكهنة الى بعض القرى ليعطي الرياضات الروحيَّة لاهلها فكان لكلامهِ مع بساطتهِ تأثير كبير في القلوب وقد سمعنا غير مرَّة الذين حضروا رياضتهُ في دير القمر يثنون على غيرتهِ الرسوليَّة ويذكرون عدد المرتدّين بواسطتهِ الى ممارسة الفرائض الدينيَّة

وكان المترجم مع هذه الاعمال لا يحبُّ البطالة مطلقاً فاذا بقي لهُ شيء من الوقت صرفهُ في الكنيسة مستحرًّا بالصلاة امام القربان الاقدس او امام ايقونة العذراء فكان الذي يشاهدهُ لا يتمالك عجباً من رقَّة عبادتهِ . وكم كنَّا نراهُ يتلو المسبحة او الفرض الالهيّ بتخشُّع كان يؤثّر فينا ايَّ تأثير

وكان مرسلنا النبيه محبًّا للدرس فاذا انتهى من اشغالهِ الروحيَّة انعكف على مطالعة كتب الآباء القديسين واللاهوتيين . وقد ابقى عدَّة آثار تُعرب عن خصافة عقلهِ وكثرة مطالعاته نخصّ منها بالذكر كتابهُ الواسع الفوائد المعنون بالكنيسة الجامعة الذي ألَّفهُ مع حضرة الاب جرجس فرج صفير . ولهُ ابحاث تاريخيَّة ودينيَّة واجتماعيَّة ورسائل عديدة نُشر بعضها في فرنسة

فترى انَّ هذا الرجل الصالح تاجر بوزناته احسن المتاجرة ولم يحضر امام ديَّانه صفر اليدين . وكان في السنين الاخيرة من حياته يتجرَّد كلّ يوم عن هذا العالم الفاني ليعدَّ نفسهُ لاستقبال خالقه بالطمأنينة والثقة . واذ لحظ الرؤساء انحطاط قواهُ ارسلوهُ في اواسط الصيف السنة ١٨٩٨ الى ديرنا في بكفيَّا فثقلت عليهِ هناك وطأة المرض في اوائل شهر ايلول واذ ذاك اسرع الى طلب الاسرار الاخيرة فاقبلها بكل تُقيّ مصغياً الى صلوات الكنيسة وربَّما كان يردّدها صارخاً : « ما اجمل وما اسمى هذه الصلوات المملوَّة عذوبة » . وبعد ان استغفر من الحضور عمَّا يكون فرط منهُ

من النقائص شكر الله الذي منحهُ نعمة الدعوة الرهبانيَّة والكهنوتيَّة واوصى خلفهُ بابناء اخويَّته وحضَّ الدارسين من الرهبان على الجدّ والنشاط في خدمة الله وخلاص القريب - ثم اسلم الروح الى بارئه بكل هدوء في ٩ ايلول الموافق للاحد الاوَّل من الشهر الذي كان اختارهُ للمناولة العموميَّة في اخويَّته لاكرام قلب يسوع الاقدس

وما انتشر خبر منعاهُ حتى طلب اولادهُ الروحيُّون ان تُنقل جثَّتهُ الى بيروت فتُدفن في مدفن كليَّتنا قريباً منهم لكي يتذكَّروا وصاياهُ ويقتفوا بامثاله فكانت جنازة دفنه في كليَّتنا غاية في الرونق والتأثير اذ اقبل الى حضور جنازته كلّ الذين عرفوا فضلهُ ونالوا احسانهُ يعدّدون مآثرهُ ويبكونهُ كأعزّ الاقارب ولم يشاؤوا ان يُدفن قبل ان يُفتح تابوتهُ ويتباركوا منهُ آخر مرَّة بتقبيل يده الطاهرة

وفي الاحد التالي أعدَّت عمدة الاخويَّة جنَّازًا حافلًا لراحة نفسه فالبسوا الكنيسة لبس الحداد واقاموا لهُ ضريحًا كسوهُ بعلامات الحزن . وكان كاتب هذه الاسطر قد دُعي لتأبين الفقيد فبنى كلامهُ على آية سفر الرؤيا (١٤ : ١٣) : « طوبى للاموات الذين يموتون في الربّ . . . لأنَّ اعمالهم تتبعهم »

٢ اخويَّة الامّ الحزينة

سبق انَّ اخويَّة الامّ الحزينة كانت بكر اعمال الاب يوحنَّا نيرودوقتش الرسوليَّة العموميَّة . وقد قرأنا في رسائله بل رأينا رأي العيان نظام تلك الشركة التقويَّة فيكفينا ان نزوي عنها ما ثبتت لنا معرفتهُ

شرع الاب المذكور بتأليف هذه الاخويَّة سنة ١٨٦٣ حيث كانت الاحوال قد ضاقت في الجبل فنزل كثير من اللبنانيين الى بيروت طلبًا للرزق كحمَّالين وبنَّائين وباعة وخدَّام واكثرهم لا يعرف من امور الدين الَّا القليل الزهيد مما تعلَّموهُ في حجور أمَّهاتهم لقلَّة المدارس في ذاك الوقت . فلمَّا تمكَّن مرسلنا النور من جذب نفر منهم الى كنيستنا القديمة في حيّ الصيفي اختار بينهم اعظمهم نشاطًا وبعد امتحانهم مدَّة جعلهم كعمدة الاخويَّة وعلَّق على صدورهم ايقونة العذراء الطاهرة . امَّا الطالبون الجدد فكان يقبلهم في درجة المبتدئين ويعيّن لهم احد المتقدّمين ليرشدهم ويعدّهم للانتظام بين الاخوة فاذا رآهم بعد اشهر مواظبين على رياضات الاخويَّة سالكين في سبيل الصلاح ادرجهم في سلك الاخوة بعد مصادقة المشورة على قبولهم

ولمّا نما عدد الاخوة حتى بلغ المئين بل زاد على الالف اتّسع ايضاً مرشدهم في تعديد الوظائف وتوفير عدد الوكلاء. فجعل لكلّ حيّ من احياء المدينة ناظراً او اكثر يفيدونهُ عن احوال الاخوة وحسن سلوكهم وحاجاتهم وامراضهم فيقف بذلك على امورهم ويسدّ كلّ خلل يطرأ

امّا الاجتماعات العموميّة فعيّن لها ظهر الاحد والعملة في ذلك اليوم منقطعون عن الشغل. فكانوا اذا حان الوقت وسمعوا الناقوس يجتمعون في الكنيسة فيقضون ثلث الساعة في استماع قوانين الاخويّة ومختصر التعليم المسيحيّ مع صورة فحص الضمير ثمّ يتلون اخصّ الصلوات التي يجب على المؤمن ان يعرفها . وكان المرشد قد تفنّن بوضع هذه الرياضات فتعود بالنوبة مرّة بالشهر فقط فلا يحصل من تكرارها السأم

ثمّ كان المرشد يرقى المنبر فيخطب فيهم نصف ساعة في بعض حقائق الدين والمعتقدات او في وصايا الله والكنيسة والادبيّات . وكان كلام الاب فيرو وقتش مع عجمته مسموعاً يُصغي اليه الجمهور بشوق لأنّ الاب كان يخطب كرجل ذي سلطة وبصوت جهور كثير التفنّن في نغماته وكان يحسن الحركات الخطابيّة حتى انّها مرارًا كانت ادلّ على المقصود من لهجته الغريبة . وقد تمكّن بارشاداته الى ان يطبع في قلوب سامعيه ايماناً حيًّا كان يظهر في كلّ تصرّفهم مع عيالهم وقريبهم

وممّا سعى بهِ ليزيد رغبة الاخوة في الاخويّة انشاؤهُ لجوقة موسيقيّة كانت تشنّف آذان السامعين بقدودها المطربة فتزيد الحفلات الدينيّة بهاء وجلالاً وقت زيّاح القربان الاقدس او بركة صورة العذراء في اثر الحظة . وقد عانى العناء الكثير في تنظيم هذه النوبة وحفظها لانّهُ رآها وسيلةً عظيمة لزيادة رونق الاخويّة

وحدّد للاخويّة في السنة رياضتين الواحدة في اوّل الخريف اذ يعود المصطافون من الجبل الى اشغالهم السنويّة فتدوم خمسة عشر يوماً يجتمع في مدّتها الاخوة بعد غروب الشمس بنصف الساعة . والاخرى في الجمعة السابقة لجمعة الآلام اتّخذها كاستعداد لاقتام الفرض الفصحيّ وكان يدعو للرياضتين كلّ العملة سواء كانوا من الاخوة او لا . ولا يسعنا ان نصف ما اتت بهِ هذه الرياضات من الخير بين العموم فانّ

اثارها الروحيَّة لا يفي بهـا احصاء كما اقرّ بهِ كلّ من حضرها ورأى اقبال الجمهور عليها

وكان الاب المرشد قـد استحضر لهذه الغاية صورًا كبيرة شفّافة بالوان ناصعة كان ينيرها في آخر المواعظ واذا هي مختصر ارشادات الرياضة قد رسم فيها عواقب الانسان من موت ودينونة وجحيم ونعيم مع الخطايا الرئيسيَّة وغـير ذلك مما كان يشرحهُ للحضور في آخر كلامهِ قبل بركة الختام . وكان المرسلون اخوتهُ اذا ساروا الى مكان لرياضة اخذوا معهم تلـك الصور وهم يدعونها مزحاً « بأبالسة الاب فيوروفتش » . ومن عجيب مـا يروى من امرها انَّ الاب منصور نورمان ونيس رسالتنا سابقاً كان اخذها معهُ الى حوران فجعلها في اسطوانة من التنك فخرج عليهِ العربان يريدون سلب امتعتهِ فما وجد لينجو منهم غير تلك الاسطوانة فصوَّبها عليهم فظنُّوها مدفعاً وولَّوا هاربين فكان الاب منصور يقول متنكّهاً : « قد نجوتُ بفضل شياطين الاب فيوروفتش »

وكان الاب يوحنّا يحبّ الحفلات الدينيَّة التي من شأنها ان تعظّم الديانة في اعين الشعب . فمن ذلك حفلة عيد شفيعة الاخويَّة اي الأمّ الحزينة في الاحد الثالث من شهر ايلول فكان الاخوة يطوفون في احواش كلّيتنا يتقدَّمون بالنظام امام صورة سيّدة الاوجاع والنوبة تـدقّ نغماتها الشجيَّة وهم يتغنَّون بالاناشيد والترنيمات على ايقاع الصنوج ويصلُّون لشفيعتهم . وكان قد استحضر لهذا الطواف عددًا وافرًا من الرايات الملوَّنة والبيارق المنمَّقة للعذراء مريم وغيرها من القديسين يحملها المتوظفون او اولاد المدارس وكانت تُختم هذه الحفلة بطلبة الام الحزينة عند الهيكل الجميل الذي كان اقامهُ المرشـد لذكرها وهناك تمثال بديع لامّ الله حاملةً في حجرها جسم ابنها الطاهر لمَّا أُنزل عن الصليب

واعظم من هـذه الحفلة موكب الاخوة في الاحد التابع لعيد القربان الاقدس اكرامًا لسرّ جسد الربّ فانَّ مرشدهم لم يدَّخر يومئذٍ وسعاً ليجعل ذاك الطواف في غاية الأبَّهة والرونق فكان يدعو ليترأسهُ نيافة القاصد الرسولي او احد ارباب الاكليروس مع عدد حديد من الكهنة فيُحتفل القربان الاقدس بالجلال اللائق بشأنه يتقدَّمهُ نحو الالفين من الحضور ماشـين بالنظام والخشوع صارخين كالجنوع يوم دخول المسيح

الى اورشليم : « هوشعنا مبارك الآتي باسم الرب » . فكان هذا المنظر يؤثر جداً في كلّ من يشاهده . وكان هذا الطواف في السنين الاولى يسير من ديرنا العتيق الى حيث اليوم محطّة المدوّر لولا انّ قلّة احترام بعض الاشقياء اوجب حصره في ضمن ديرنا

وكان للاخوية مواسم اخرى يظهر المنتمون اليها في مجالي افراحهم كموسم تجديد الانتخابات السنويّة وعيد رأس السنة اذ يقدّمون لرؤساء الكليّة تهانيّ الاخوة

واعضاؤها يستوقفون ايضاً الانظار في جنازة الاخوة فانّهم اذا مات احدهم اجتمع كثيرون منهم عند جثّته وصلّوا عليه مع مرشدهم وشيّعوه باحتفال الى مقامه الاخير فتصير بحضورهم طلعة الفقير شبيهة بطلعة الغنيّ بل اوقع في القلوب اذ ليس هناك جاهٌ عالميّ او فخفخة

ومعلوم انّ اخويّةً مثل هذه اكثر تبعتها من الساكين او الرقيقي الحال تحتاج الى مصاريف بالغة لمساعدة من ينكبهم الدهر فلا يملكون طعام ليلة او يلقيهم المرض على فراش الألم فليس من يعودهم ويلطّف اوجاعهم . وكان الاب فيوروفتش اخذ على نفسه ان يسعف هؤلاء البائسين ولكن كيف يمكنه الامر وهو راهب فقير ليس له ثروة يستمدّ منها . لكنّ المحبّة تذلّل كلّ المصاعب فجعل مرشد الاخويّة لا يدع باباً الّا طرقه ليحنّ قلوب الاغنياء على الفقراء فتبرّعوا عليه بشيء من مالهم . ثمّ اخذ يكتب الرسائل الى الجمعيّات الخيريّة في فرنسة والى رؤساء رهبانيّته ويستعطف كلّ من عرفه من ذوي الجود والكرم فامكنه ان يجمع ما يكفيه غالباً في كل سنة لمساعدة المنكوبين اعني نحو عشرة الاف قرش . وكان يودّ ان يدّخر لهم رأس مال يقوم عليهم ريعه لكنّه لم يتوفّق لرغبته هذه ولعلّ الله لم يشأ ان يجعل الاب تتّكل بذلك المال المجموع فيكون اتكالهُ على الله وحده الذي يقيت طيور السماء ولم يدع شعرة من رأس عبيده تسقط دون اذنه فيصح فيهم قول النبيّ (مز ٣٦ : ٢٥) : « لم ار صدّيقاً مخذولا ولا ذرّيّة له تلتمس خبزاً »

وان سأل السائل وهل يُعرَف عدد الذين انضمّوا الى اخويّة الامّ الحزينة . اجبنا انّ سجلّات هذه الشركة تحتوي منذ اوّلها الى اليوم نحو عشرة آلاف اسم . وهو لعمري عدد بليغ ينطق بفضل منشئ هذا المشروع الصالح ووفرة ثماره في النفوس

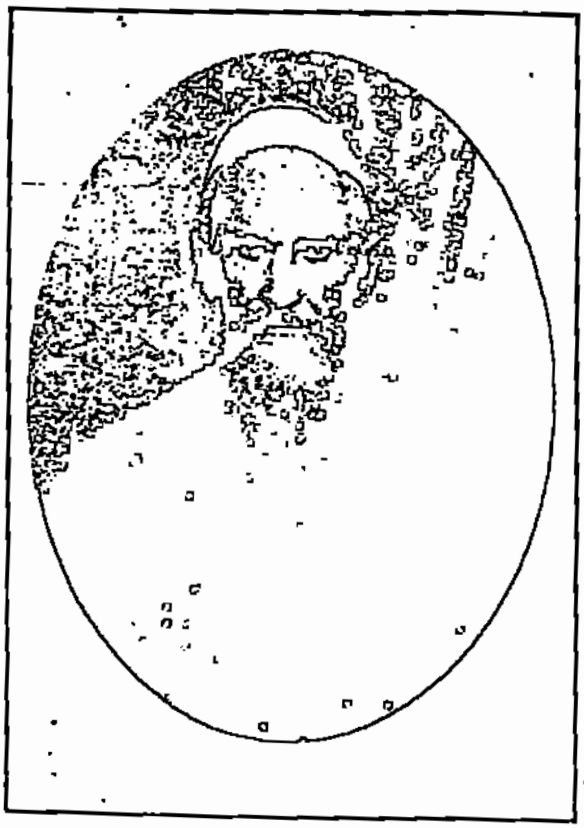

الاب يوحنا فيوروفتش اليسوعي

منشئ اخوية الام الحزينة

١٨١٩ – ١٨٩٨

٣ الملحقات باخويّة الام الحزينة

على انّ العـدد الآنف ذكرهُ لا يشمل المشروعات اللاحقة باخويّة الامّ الحزينة التي امتدّ خيرها الى نفوس كثيرة من اعضائها وغيرهم ايضاً وهـا نحن نذكر ذلك بالاجمال. ومن هذه المشروعات ما قام بهِ خلفاء الاب فيوروقتش

يعود الفضل الى هذه الشركة انّهـا كانت مثالًا لاخويّات أخرى أُنشئت على نمطها في انحاء مختلفة وكان الساعون في ذلـك غالباً من اعضاء اخويّة الامّ الحزينة اذ كانوا ينتقلون الى امكنة شتّى في لبنان او في بعض مدن السواحل حتى في اميركة عينها فكانوا يتّفقون مع كهنة تلك الجهات فينشئون شركات على منوالها

ومن فضلها ايضاً عبادات صالحة أَلفها رجال التقى فنالوا بركاتها. اخصّها عبادة قلب يسوع الاقدس فان الاب فيوروقتش حبّب الى ابناء اخويتهِ اكرام ذاك القلب المضطرم حبًّا للبشر فجعل فوق مذبح الامّ الحزينة صورة هـذا القلب الالهيّ كما ظهر للطوباويّة مرغريتا مريم ليوثّر نظرهُ في قلوب الفقراء خصوصاً

فلتحقيق امنيّتهِ هذه كان يدعو ابناء الاخويّة في صباح الجمعة الاولى من كلّ شهر الى حضور الذبيحة الالهيّـة والتقرّب من سرّ القربان الاقدس فكانوا يجيبون الى دعوتهِ بطيب الخاطر امّا الذين كانت تحكم عليهم الاشغال بالتبكير في عملهم فانّهم كانوا يستعيضون عن ذاك اليوم بالاحد الاوّل من الشهر فيتباون فيهِ الاسرار لاكرام قلب الربّ والتكفير عن مآثم البشر

ثمّ انّ الاب فيوروقتش رأى بعد ذلك ما هو اولى وافضل فانّهُ دعا اربعين من ابناء الاخويّة ليقضوا ليلهم في ديران كنيستنا فكانوا يتناوبون في السجود للقربان الاقدس المصود في ليلة الخميس الى الجمعة الاولى من الشهر في كنيستنا فيحيون تلك الليلة صلاةً وتسبيحاً ساجدين خمسةً خمسةً مدّة ساعة تامّة. فهذه العبادة المنشأة قبل ثلاثين سنة لا تزال جاريةً حتى اليوم فتستطر نعم الخالق على المدينة وتردّ غضبهُ عن آثام اهلها. ثمّ الحق بهذه العبادة عبادةً اخرى للصليب المقدّس باقامة رياضة درب الصليب في كلّ مساء الجمعة من اسابيع السنة يقيمونها في كنيستنا

ولعلّ الاب يوحنّا اراد ان يطبع في قلوب اولادهِ ذكر آلام السيّد المسيح اذ عمد سنة ١٨٦٨ ان يؤلف فئـة من الزوّار لاورشليم والامكنة المقدّسة . فعرض

عليهم الامر ولم يطلب من كلّ واحد منهم لسفرهم بحرًا وبرًّا ومعاشهم مدّة خمسة عشر يوماً الّا خمسين قرشاً . فنال هـذا المشروع حظوى لدى العلّة فكان يجتمع منهم كلّ سنـة ستّون شخصاً يتولّى للرشد قيادتهم وتدبيرهم والعناية بهم روحاً وجسماً فيدخلون القدس الشريف بموكب حافل وخشوع تامّ يتلون الورديّة اثنين اثنين او يرتلون التراتيل التقويّة وفي مقدّمتهم زعيمهم الفاضل كأنّهُ قائد جيش ظافر فيخرج اهل اورشليم لمعاينة هؤلاء الوفود ويرافقهم النصارى الى كنيسة القيامة حيث يتباركون بالزيارة الاولى للقبر المقدّس

وكانوا يقيمون في القدس اسبوعاً كاملاً يضيفهم الآباء الفرنسيسيّون في مثواهم فيستعدّون مدّة ثلاثة ايّام بالترؤض وتنقية الضمير للمناولة السموميّة ثمّ يتنقّلون الى كلّ الزارات التي في المدينـة ولا يحلّون في مكان الّا أعطوا لمن يشاهدهم قدوة صالحة . ثمّ كانوا اذا انتهوا من زيارة القدس يذهبون الى بيت لحم والى عين كارم بالنظام عينهِ فيتحفّى بهم اهلها ويثنون على ورعهم وايمانهم . وكانوا اذا رجعوا الى وطنهم لا يلهجون الّا بنعمة تلك الزيارة شاكرين فضل مرشدهم الذي احظاهم بها . وقد عاد الاب فيروفتش مـدّة عشرين سنة الى زيارة القدس مع قومهِ فانعش بذلك في قلوب مواطنينا ذكر تلك الامكنة التي يقدم كثيرون من الاجانب الى التبرّك بروزيتها ويكاد يجهلها القريبون منها . على انّهُ قد لقي بعد ذلك في سبيلهِ من العوائق بسبب حوادث السفر وغيرها ما احوجهُ الى ايقافها . وخلفهُ اليوم حضرة الاب ديد معتصم العزم على استئنافها قريباً ان شاء الله

وليست هذه المشروعات وحدها ناجمةً عن اخويّة الامّ الحزينة بل ألحقوا بها اعمالاً أخرى لا ينكر فضلها منها جمعيّة الشبّان تحت حماية القديس لويس غنزاغا التي يسعى اعضاؤها المنتسبون الى اخويّة العلّة بالمحافظة على كلّ الآداب الصالحة والسيرة المسيحيّة ثمّ يجهدون نفسهم في الاهتمام بصغار الصنّعة واهل الحرف الذين لا يسعهم غالباً ان يتربّوا في المدارس . وهؤلاء الشبّان يبلغ عددهم الاربعين

امّا الاحداث الذين يُعنَون بامرهم فعددهم يتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ يجتمعون كلّ يوم احد بعد اخويّة الرجال في مدارس حيّ الدحداح فيقضي الشبّان مدّةً من زمانهم في نظارتهم ويساعدهم في عملهم المبرور تلامذة مدرستنا الكاثوليكيّة من

اكليريكيين وعلمانيين الـذين يلقنونهم الصلوات ويشرحون لهم التعليم المسيحي ليتأهبوا للمناولة الاولى. ويتخذون عدة وسائل ليجذبوهم الى هذه الاجتماعات بأن يوزعوا عليهم ثياباً واطعمةً والعاباً واذا حان وقت مناولتهم الاولى ألبسوهم الملابس البيضاء. واقاموا لهم الحفلات الشائقة فينشأ هؤلاء الاحداث على روح الدين ويصونون نفوسهم في البرارة والتُقى. وربَّما اهتمُّوا باهل حرفةٍ واحدة فجمعوهم وهذَّبوهم وارشدوهم الى العيشة المسيحيَّة كما فعلوا مع صَبْغة الاحذية (اولاد البويا) وغيرهم فأتت كلّ هذه الاعمال بالنتائج المرغوبة المبهجة لقلب امنا الكنيسة

فترى من تعداد هذه المشروعات الطيّبة انَّ اخويَّة العملة لم تُخيب أمـل منشئها بل اتت بأثمار تضاهي رجاء الكنيسة المقدَّسة فيها فيحقّ لهـا في ختام هذه السنين الخمسين ان ترفع الى الله شكرها الحميم على ما انعم به عليها وان بدا منها تقصير في شيء فهي تطلب منهُ تعالى ان يفسح لها الاجل كي تستدركهُ وتتلافاهُ عمَّا قليل باضعاف همَّتها في سبيل الخير

ثم انَّها لا تنسى كلّ الذين آزروها في العمل فتستمدّ لمنشئها الطيب الذكر ان يجزل الله لهُ الثواب في دار البقـاء. وتلتمس لخلفيهِ من بعدهِ حضرة الاب ادوار ميشال الذي افرغ مجهودهُ في ادارتها مدَّة ١٨ سنة ثم حضرة الاب ديد مرشدهـا الحالي وحضرة مساعديهما الخوري يوحنَّا طنوس والخوري بطرس فرج ان يفلحوا زمناً طويلاً كرم ربّ البيت قبل ان ينالوا جزاء اتعابهم في منازل الابرار. كما انَّها تشكر كلّ المحسنين اليها في حاجاتها المادّيَّة والادبيَّة وتتوسَّل الى الله بان يثيبهم على إحسانهم منة ضعف

واذ هي تتأهب لتدخل في طور جديـد من حياتها تتمنَّى لكل من إنضوى اليها ومشى تحت رايتها ان يجعلوا نصب عينهم الغاية الشريفة التي أُنشئت لاجلها اعني خلاص نفوسهم بثباتهم في ايمان اجدادهم وممارستهم كل الفضائل الجديرة ببناء ملكة السماء في حياتهم الفرديَّة والعائليَّة والاجتماعيَّة ثمَّ اجتهادهم بان يكونوا لغيرهم كالاسرجة المنيرة الوقَّادة يستضيئون بها لمعرفة الصلاح فينهجوا على مثالهم سُبُل البرّ وينالوا وإيَّاهم جزاء العبد الصالح المؤتمن على الكثير بعد ثبوت امانتهِ على القليل

الحَجْر الشرعيّ

بقلم حناب المحامي القانوني انطون بك شحيبر

من هم المحجورون

يتصوَّر الكثير ان المرء حرٌّ على الاطلاق بمالهِ وملكهِ يتصرَّف فيهما كيفما شاء واراد . بيد انَّ الشرائع والقوانين لم تطلق هـذه الحريَّة بل جعلتها قيد ظروف خصيصة وشرائط معلومة اذا فُقدت اصبح الانسانُ مقيَّدًا في تصرُّفاتهِ وصار امرهُ فيها الى غيرهِ من حاكمٍ وولي ودائنٍ ووصي

اجل متى كان الانسان بالغًا رشيدًا عاقلًا حصيفًا نبيهًا مدركًا مميِّزًا حسن التدبير بريء الذمَّة مقتدرًا على ادراك الحقّ والقيام بالواجب فهو الحرُّ بمالهِ وملكهِ يتصرَّف فيهما تصرُّفًا شرعيًّا بمطلق ارادتهِ . والَّا اي اذا كان صغيرًا لا يميِّز او مجنونًا لا يعي او معتوهًا قليل الفهم فاسـد التدبير او سفيهًا مبذِّرًا متَّبع الاهواء او مديونًا يبتضم حقوق الغير فيُحجَرُ اي يُمنَعُ من تصرُّفاتهِ القوليَّة . والمراد هنـا بالمنع من « التصرف القولي » عدم اعتبار العقود التي يعقدها المحجور (بعد الحجر لا قبلهُ)

فالحَجر اذًا هو : « منع شخصٍ مخصوص عن تصرُّفهِ القولي » في مـا يملكهُ من دينٍ وعينٍ ونقدٍ وعقارٍ الخ » ويقال لذلك الشخص بعد الحجر « محجور » . مثلًا ان من يصرف ماله في غير موضعهِ ويغفل في اخذهِ واعطائهِ ويتبع الهوى ويبذِّرُ المال في الشرب والفسق والمَيسر فهو ممَّن يوجب الشرع حجرهم في ظروفٍ معيَّنة . وكذلك يُحجَرُ من كان فاسـد التدبير حتى في الامور الخيريَّة كالرجل الذي يحرمُ عيالهُ المأكل والملبس والمسكن ولوازم التربيـة لكي ينفق « جميعَ » مالهِ في سبيل بناء المسجد فمثل هذا يجيزُ الشرع منعهُ من تصرُّفهِ القولي

فاذا تدبرتَ مـا مرَّ بك من الاملاع وضح لديك ان الشرع والقانون أوجبا او اجازا منع فريق من الناس عن التصرُّف واولئك هم المحجورون واليك بيانهم

ان المحجورين هم :

الصغير والمجنون والمعتوه : وهولاء محجورون لذاتهم اي بدون ان يصدر حكم الحاكم بوجوب حجرهم

والسفيه : ولا يُحجَرُ الا بحكم الحاكم

والمديون : ولا يُحجرُ الا بحكم الحاكم مبنياً على طلب الغرماء اي ارباب دينهِ (١

وها نحن مبينون هويّة كل منهم :

١ الصغير

﴿ الصغير ﴾ ويُقسم الصغير الى صغير غير مميّز وصغير مميّز . فالصغير غير المميّز هو الذي لا يفهمُ البيع والشراء ولا يعلم كون البيع سالباً للملكية والشراء جالباً لها ولا يفرق بين الغَبْن الفاحش الظاهر كالتقرير في العشرة خمسة وبين الغَبْن اليسير . واما الصغير المميّز فهو الذي يميّز هذه المذكورات . وقد سبق القول ان الصغير مميّزاً كان او غير مميّز انما هو محجور لذاتهِ اي ممنوعٌ عن تصرّفه القوليّ لمجرّد كونهِ صغيراً اي بدون حاجة الى حجر الحاكم بحيث انه ان عقد عقداً كالبيع والشراء او تعهّد بامر كالكفالة فلا يُعتبرَ عقدُه ولا يُعمَل بتعهّدهِ . على انهُ لا بدَّ من التصريح انَّ الصغير غير المميّز إن تصرّف فيُعتبَرُ تصرُّفهُ اذا كان في حقّهِ نفعٌ محض (وان لم يؤذن بهِ وليُّهُ) . مثلاً لو قبل الصغير هديةً او هبةً فتصرُّفهُ هذا معتبرٌ ولو لم يُجزْهُ الوليّ . ولا يعتبر تصرُّفهُ الذي هو في حقّهِ ضررٌ محض (ولئن كان ذلك التصرّف بإجازة الولي) . مثلاً لو وهب الصغير شيئاً لاخر باجازة وليّهِ فلا يعتبرُ هذا التصرُّف

اما في العقود الدائرة بين النفع والضرر في الاصل كالبيع مثلاً فان كانت تلك العقود صادرة من صغير (غير مميّز) فلا اعتبار لها (اجازها الوليّ او لم يُجزْها) واما ان كانت صادرةً من صغير مميّز فيكون اعتبارها موقوفاً على إجازة الوليّ بحيث ان رآها مفيدةً بحقّ الصغير اجازها والّا فلا . حتى ان الصبي المميّز لو باعَ مالَهُ بدون

---

١) ان مَن أُريد حجرهُ من طرف الحاكم لا يشترط حضورهُ لديهِ بل يصحُّ حجرهُ غيابًا ولكن يُشترط وصول الخبر اليهِ والى ان يصلهُ خبر الحجر تكون عقودهُ واقاريرهُ معتبرة

اجازة وليه ولو بضعف القيمة فلا ينفذ بيعه ولا يقال ان في هذا البيع نفعاً ظاهراً فينبغي ان ينفذ بلا اجازة

وقد يحدث ان الصغير (المميز) تظهر عليه امارات الرشد قبل الاوان . ففي مثل هذه الحال يجوز للولي ان يسلمه مقداراً من ماله (من مال الصغير) ويأذن له بالتجارة لاجل التجربة فان تحقق الولي رشده (اي رشد الصغير) دفع اليه باقي اموالهِ واجاز لهُ التجارة على ان اذن الولي لا يتخصص بزمان ومكان ولا بنوع من البيع والشراء بحيث ان الولي لو اذن الصغير (المميز) شهراً يكون مأذوناً على الاطلاق ويبقى مستمراً على ذلك الاذن وكذلك لو قال له : « اذنتك ان تبيع وتشتري في بيروت » يكون مأذوناً في كل مكان . وايضاً لو قال له : « اذنتك ان تبيع وتشتري الصوف والحرير » كان له ان يبيع ويشتري اي مالٍ كان . وتكون حينئذٍ تصرفات الصغير المميز في الخصوصات الداخلة تحت الأذن معتبرة لانه يكون بمنزلة البالغ

ولكن لو تبيّن الولي (بعد الاذن) ان الصغير يتصرف بغير رشد فلهُ ان يحجرهُ ويبطل الاذن . بيد ان هذا الحجر يجب ان يكون معلوماً بمثل الوجه الذي صدر بهِ الاذن وذلك صيانةً لحقوق المتعاملين مع الصغير . مثلاً لو كان الولي اذن الصغير بصورة علنيّة فعرف العموم انهُ مأذون واخذوا يتعاطون معهُ ويعتبرون تصرفاتهِ القولية فلا يجوز للولي ان يحجرهُ بحضر رجلين او ثلاثة في دارهِ بل يجب عليه ان يحجرهُ حجراً عاماً معلوماً لدى العموم — واعلم ان الولي ان اذنَ الصغير المميز ثمَّ مات (الولي) فيبطلُ الاذن بموتهِ بحيث ان جميع العقود التي يعقدها الصغير (المميز) بعد وفاة وليه الذي اذنه تكون غير معتبرة

وقد يحدث ان الصغير (المميز) يأنس من نفسهِ الرشد ويلحظ انهُ يستفيد من تصرفهِ فيطلبُ من وليهِ ان يأذنه فيمتنعُ الولي عن اجابة طلبه فحينئذٍ يحقُّ للحاكم ان يأذن ذلك الصغير اذا رأى في تصرفهِ منفعةً وليس للولي الآخر ان يحجر على الصغير بعد ذلك حتى اذا ماتَ ذلك الحاكم فليس للوليّ ان يحجرَ على الصغير بعد موتهِ بيد ان للحاكم نفسهِ او لمن خلفهُ ان يحجرَ على الصغير بعد ما اذنهُ إن تبيّن لهُ ن تصرفاتهِ عن غير رشد

صورة سيدة الاعجائب

الكرمة في اخوية العلة في بيروت

ومعلومٌ ان الانسان اذا بلغ ورشد فلا يُعتبر حينئذٍ صغيرًا ولا يكون من ثمَّ محجورًا بل يجب ان يُعطى جميعَ امواله لكنَّما يُستحسن ان يجرَّب بالتأني فان تحقق كونه رشيدًا تُدفع اليه حينئذٍ امواله والَّا فلا. وذلك لان البلوغ وحده لا يكفي لاعطاء الصبي امواله بل يجب ان يكون بالغًا ورشيدًا معًا . وبناء عليه فلو اعطى الوصيُّ الصغير مالَهُ (قبل رشده) فضاع المالُ في يد الصغير او اتلفهُ كان الوصيُّ ضامنًا اي انهُ يُجبَر على اعطاء بدل ذلك المال الضائع من مال نفسه . وقد يحدث ان يستثبتَ بلوغ الصبي ورشده فيدفع اليه امواله لكنه يلحظ بعد ذلك انه سفيه فحينئذٍ يُحجَرُ عليه من قبل الحاكم بسبب السفه لا الصغر

سنُّ البلوغ والرشد

بقي ان نعلم امرًا هامًا وهو في اي سنٍّ يُعتبر الصغير بالغًا في نظر الشرع

ان حدَّ البلوغ يُثبَت ببعض الدلائل الطبيعية المعروفة التي لا محلَّ هنا لذكرها . على ان مبدأ سنِّ البلوغ في الرجل اثنتا عشرة سنة وفي المرأة تسع سنين ومنتهاهُ في كليهما خمس عشرة سنة بحيث انه إذا ادرك الانسان السنة الخامسة عشرة من عمره يُعتبَر بالغًا حكمًا ولو لم تظهر فيه آثار البلوغ الطبيعية — واما اذا ادرك العمرَ الذي هو من تسع سنوات في البنت ومن اثنتي عشرة سنة في الرجل الى خمس عشرة سنة في كليهما وظهرت فيه آثار البلوغ فيُعدّ بالغًا واذا ادرك هذا العمر (اي من ٩ الى ١٢ او من ١٢ الى ١٥ كما مرَّ) ولم تظهر آثار البلوغ فهو المراهق وهي المراهقة . (ومعنى المراهق القريب من البلوغ) — واذا اقرَّ المراهق في حضور الحاكم ببلوغه فان كانت جثتهُ تتحمل البلوغ ولم يكذّبه ظاهر الحال يصدَّق وتكون عقوده وتقاريرهُ نافذة ومعتبرة والَّا فلا . على انَّه اذا اقرَّ بذلك مرةً امام الحاكم فلا يصح لهُ الرجوع عن اقراره بل يؤاخذ بهِ وفقًا للقضايا الشرعية . اما الصغير الذي لم يدرك مبدأ سن البلوغ (٩ سنوات للانثى و ١٢ سنة للذكر) فانه اذا ادَّعى البلوغ لا يُقبل ادعاؤهُ ولا تسمع دعواهُ بهِ

فاذا راجعت ما مرَّ بك تبيَّن لك ان الصغير ينقسم الى :

صغير غير مميز
صغير مميز

مُراهق
بالغ غير رشيد

وقد تقدَّم البيان عن وصف كل من هـذه الحالات . على ان الانسان اذا بلغ ورشد فهو حرٌ غير محجور من تصرُّفاته القولية ما لم يكن في حالة الجنون او العته او السفه او الدين كما سيأتي الكلام

٢ المجنون

الجنون فنون على ما قالت الامثال لكنَّ الشرع يقسمه الى قسمين: الجنون المُطبق والجنون غير المطبق. فالاول ما كان في حالة مستمرَّة غير منقطعة بحيث انه يستوعب جميع اوقات المجنون. واماً الثاني فهو ما كان لا يستوعب جميع اوقات المجنون بحيث ان صاحب هذا الجنون (غير المطبق) يكون في بعض الاوقات مجنوناً ويفيق في بعضها

فالمجنون المُطبق هو في حكم الصغير غير المميز فكلُّ ما قلناهُ عن هذا الصغير (غير المميز) ينطبق على المجنون المُطبق. بناء عليه لا يجوز من تصرُّفاته القولية الَّا ما كان في حقِّه نفعٌ كقبول الهديَّة والهبة . واماً ما كان في حقِّه ضرر محضٌ فلا يعتبر تصرُّفه فيه وان اجازه وليُّهُ . — وما دار بين النفع والضرر فيحتاج تصرُّفهُ فيه الى اجازة الوليّ . الى آخر ما اوردناهُ في باب الصغير غير المميز

والمجنون غير المطبق لهُ حالتان: الاولى ان يفارقهُ عارض الجنون في وقت افاقته بالكليَّة . وفي مثل هذه الحالة تُعتبر تصرُّفات المجنون غير المطبق كتصرُّفات العاقل . والثانية ان يفيق من عارض جنونه ناقص العقل قليل التدبير . وفي مثل هذه الحالة يكون في حكم الصغير المميز كما شرحنا عن هذا ايضاً آنفاً

واذا تدبَّرتَ ما سبق تبيَّن لك ان المجنون ينقسم الى: ١ً مجنون مطبق . — (وحكمهُ كحكم الصغير غير المميز) . ٢ً مجنون غير مطبق يفارقهُ الجنون بالكلية عند افاقته . (فحكمهُ عند الافاقة كحكم العاقل) . ٣ً مجنون غير مطبق يبقى عند افاقته ناقص العقل (فحكمهُ حكم الصغير المميز)

ولا حاجة الى القول ان المجنون (مطبقاً كان ام غير مطبق) اذا شفي من جنونه وثبت ذلك يفكُّ عنهُ الحجرُ ويُعتبر تصرُّفه كتصرُّف العاقل

٣ المتوه

قد اختلفَ اهل الشرع في تفسير (المتوه) على ان أرجَحَ ما قيل فيه انه مَن كان قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير الّا انهُ لا يضرب ولا يشتم كما يفعلهُ المجنون وقد حدَّدت المجلّة المتوهَ بقولها انه « هو الذي اختلَّ شعورُهُ بحيث يكون فهمُهُ قليلًا وكلامه مختلطاً وتدبيرهُ فاسداً ». وهو محجور لذاته كما تقدّم القول. — واماً من جهة الحجر فهو (اي المتوه) في حكم الصغير المميز فكلُّ ما قلناهُ سابقاً عنهُ (اي الصغير المميز) ينطبق على من كان معتوهاً

٤ السفيه

السفه (على ما في الدرّ المختار) « تبذير المال وتضييعه على خلاف مقتضى الشرع والعقل ولو في الخير ». فالسفيه اذاً هو العامل بخلاف موجب الشرع واتباع الهوى ومن عادتهِ التبذير والاسراف في النفقة وان يتصرَّفات تصرُّفات لا لغرض او لغرض لا يعدّهُ العقلاء من اهل الديانة غرضاً مثل دفع المال الى المغنّين واللعّابين واهل الخلاعة والغبن في التجارات عن غير محمدة. وتبذير المال كما يكون (في الشر) ان يجمع اهل الشرب والفسق في دارهِ ويطعمهم ويسقيهم ويسرف في النفقة ويفتح باب الجائزة والعطاء عليهم يمكن ايضاً وقوعهُ. (وفي الخير) بان يصرف جميع مالهِ في بناء المسجد

فمما تقدَّم تعلم ان من يصرف مالهُ في غير موضعهِ ويبذر في مصاريفهِ ويضيع اموالهُ ومن يغفل في اخذه واعطائهِ ولم يعرف طريق تجارتهِ وتشتهِ بحسب بلاهتهِ وخلوّ قلبه يُعدُّ سفيهاً ويُحجَر عليه. — على ان الفقهاء قد اختلفوا في حجر السفيه فمنهم من قال انه محجورٌ بنفس السفه ولا يتوقف على القضاء ومنهم من قال انه لا يثبت الّا بقضاء القاضي. وقد اختارت جمعية المجلة هذا الرأي الاخير فقالت في المادة ٩٠٨ منها: « للحاكم ان يحجر على السفيه » ومتى حُجر على السفيه من طرف الحاكم يُشهَر هذا الحجر على الناس مع بيان سببه ويعمم هذا الحجر جميع اموال السفيه

واعلم ان الفاسق اذا بذَّر وأسرف في مالهِ فانه يعدّ ايضاً سفيهاً ويُحجَر

اماً في المعاملات فان السفيه المحجور كالصغير المميز ولكنه يختلف عنه بمسائل: منها ان وليَّ السفيه الحاكمُ فقط وليس لابيه وجدّه واوصيائهِ حقّ الولاية عليه.

ومنها ان تصرّف الوصي في مال الصبي جائز وفي مال السفيه المحجور باطلٌ. ومنها ان السفيه المحجور اذا اوصى بوصيّةٍ جازت من ثلث مالهِ واما الصبي فلا تجوز وصيّتهُ. ومنها ان عقد زواج السفيه المحجور وطلاقه جائزٌ ومن الصبي باطل. ومما قاله الفقهاء ان السفيه المحجور اذا باع او اشترى نظر القاضي في ذلك فما كان خيرًا اجازهُ وما كان فيه مضرّة ردّهُ

ثمّ ان النفقات اللازمة للسفيه المحجور ولمن لزمتهُ نفقتهم (اي نفقاته ونفقات عياله) انما تؤخذ من مالهِ

واعلم ان السفيه المحجور لا يكون بيعهُ نافذًا الّا اذا اجازهُ الحاكم لمنفعة يراها فيه كما انه لا يصح اقرارهُ (اي إقرار السفيه) بدينٍ لآخر مطلقاً يعني ان ليس لاقرارهِ تأثير في حق اموالهِ الموجودة في وقت الحجر والحادثة بعدهُ غير ان ذلك لا يؤثر في حقوق الغير المشروعة بحيث انه اذا ترتّبت عليه حقوق للناس فانما تؤدّى من اموالهِ. وكذلك اذا استقرض دراهم وصرفها في نفقتهِ فان كان قد صرفها بالمعروف ادّاها الحاكم من مالهِ وان كان قد صرف زائدًا عن القدر المعروف يؤدي مقدار نفقتهِ ويبطل الزائد منها. وذلك لان القصد من حجر السفيه ان لا يبدّد مالهُ جزافًا فان استدان لضرورةٍ لا خوف على مال الدائن من الضياع وان استدان لاسرافٍ ضاع مال الدائن لانه خاطرَ بمالهِ اذ يكون اعطى لسفيه محجور اعلن الحاكمُ حجرهُ للناس. هذا وان السفيه المحجور يبقى تحت حكم الحجر الى ان يكتسب صلاحاً وعندئذٍ يفكُّ الحاكم حجرهُ ويعلن الفك للناس. والمراد بذلك انه لا يكفي لاجل رفع الحجر صلاح السفيه ورُشدهُ بل يقتضي ان يثبت الصلاح والرشد لدى الحاكم وان يحكم بهِ ويذيع حكمهُ بين الناس

المديون

معلومٌ ان المديون من في ذمّتهِ مالٌ للغير والدَّين في نظر الفلسفة الاجتماعية والاقتصادية تيسيرٌ في وقت المضايقة وتسهيل في المعاملات والمبادلات البشرية من تجارية وصناعية وزراعية وغيرها بحيث لا يمكن الاستغناء عنه لدى جميع الامم ولاسيما الامم الراقية. فلو امتنع الدَّين لوقفت الحركة العمرانية والمالية وتأثرت الحياة الفردية والقومية. فهذا الفلاح الزارع قد نقبَ ارضهُ وفلحها وزرعها وبذل في هذا

السبيل كلّ ما كان لديه من النقود وبينما كان يرقب بذاهب الصبر زمن الحصاد ليستغلّ ثمرة اتعابه احتاج الى مبلغ من المال اما للقيام بأوده واود عياله واما لوقاية الزرع من الهلاك واما للامرين معاً فماذا يفعل وهو صفر اليدين فلا سبيل له الّا ان يستدين المال على قصد الايفاء آن الحصاد . — وذاك الصانع قد ابتاع المواد الاولية واعدّ الادوات اللازمة للعمل وشرع في صُنع السلع وقبل انجازها احتاج الى النفقة على نفسه وعلى مساعديه فيعمد الى الاستدانة تسهيلاً لامره وتيسيراً لمشقّته .—وذلك التاجر الذي رأس ماله الفٌ يستطيع بفضل الدين ان يتاجر بما قيمته عشرون الفاً فتتوفّر لديه الارباح ينتفع بها هو ومعاونوه بتجارته . فلو بطل الدين لانحصرت موارد الارتزاق ضمن دائرة ضيّقة جداً لذلك كان من الواجب ان تُبذل جميع الوسائل الممكنة لحمل اصحاب الاموال النقدية على عدم ابطال الإدانة . فبعض المشترعين قد اجازوا للدائن ان ينتفع بجزء من ارباح المدين المقدّرة مع الضمان وسمّوا ذلك فائدة او فايضاً او مرابحةً وما ذلك الّا تشويقاً للتسوّل كي يعدّ اصحاب العمل بماله

وليس هنا محل البحث بذلك بل نقول ان الشرع عندنا قد وضع جملة وسائل مرجعها تأمين الدائن على دينه منها الرهن والبيع بالوفاء وبالاستغلال والكفالة ومنها ايضاً « حَجر المديون » وهو ما نبحث فيه الان . وهو انه اذا لحظ الغرماء (اي ارباب الدين) ان مديونهم افلس اي ان الدين الذي في ذمّته اصبح مساوياً لماله او زائداً عنهُ او اذا خاف اولئك الغرماء ان يُضيع مديونهم مالهُ بالتجارة او ان يخفيه او ان يجعلهُ باسم غيره فلهم ان يراجعوا الحاكم بذلك ويطلبوا اليه ان يحجرهُ وعندئذٍ للحاكم ان يحجرهُ بطلبهم وان يشهر ذلك على الناس وذلك كله على قاعدة ان يتحمّل الضرر الخاصّ دفعاً للضرر العامّ . فاذا تدبرتَ ذلك وضح لديك انه لاجل حجر المديون يجب ان يكون (المديون) مفلساً (بالتعريف السابق ذكرهُ) وان يكون ذلك الحجر مبنياً على طلب الغرماء وصادراً من طرف الحاكم وان يشهر الحكم على الناس

وهنا مسألة فيها نظر وهي انه اذا طلب الغرماء حجر المديون فالحاكم ينظرُ في الامر فان كان المديون مقتدراً لكنه يمتنع عن اداء الدين مماطلةً حينئذٍ حجر الحاكم

مالهُ وباعهُ وادّى دينهُ مبتدئاً بما بيعهُ اهون في حقّ المديون وذلك بتقديم النقود فالعُروض فالعقار . وان كان مفلساً حجرَ الحاكم المديون (كما رأيت في تعريف الحجر) اي منعهُ من التصرّف بمالهِ وعن الاقرار بدين جديد لاخ الخ . ثمّ يبيع اموالهُ ويقسمها بين الغرماء تاركاً لهُ ما كان ضرورياً من اللباس والمسكن بالنسبة الى حالهِ بحيث ان كان لهُ ثيابٌ ثمينةٌ باعها واشترى لهُ من ثمنها ثياباً رخيصةً تليق بحالهِ وان كانت لهُ دارٌ يمكن الاكتفاء بدونها باعها ايضاً واشترى مسكناً لائقاً بحاله واعطى الزائد للغرماء . واما لو كان لا يمكن الاكتفاء بدون ما للمديون من الملبس والمسكن ابقاهما القاضي لهُ ومثل ذلك قل عن سائر موجوداته البيتيّة

وطالما المفلس محجور فيُنفَق عليه وعلى عيالهِ من مالهِ

والحجر على المفلس المديون يشمل كلّ ما ملكه قبل الحجر ولكنهُ لا يشمل ما ملكه بعد الحجر

وليس للمفلس المديون المحجور ان يأتي عملاً يؤدي الى ابطال حق دائنه . وعلى ذلك فلا يسوغ لهُ ان يتبرّع او يهب او يتصدّق او يبيع مالاً انقص من ثمن مثله وبالجملة فان عقوده (المضرّة) بحقوق الغرماء في حق امواله الموجودة وقت الحجر انما هي باطلة ولكنها تُعتبر في حق امواله التي اكتسبها بعد الحجر . واما اقرارهُ بدينٍ فلا يُعتبرَ بحق امواله الموجودة آن الحجر ولكن ذلك الاقرار ينفذ على ان يؤدي المقرّ به مما يكتسبُ بعد الحجر

ملاحظة

ان ما اوردناهُ عن حجر المديون انما هو بموجب الاصول الفقهية الشرعية . اما القانون فقد وضع بابَ الحجز (في قانون اصول المحاكمات الحقوقية) وبابَ الافلاس (في قانون التجارة) وضمّن البابين المذكورين ايضاحاتٍ اقتضتها الاحوال العصرية . على ان من تأمل باب الحجر الشرعي الذي اتينا على بيانه في هذه المقالة وقابلهُ بما جاء في بابي الحجز والافلاس من القانون يندهش اذ يرى الشرع قد استدرك قبل اجيالٍ اموراً دقيقة لم يأتِها القانون الّا بعد اختبارٍ طويل

رسالة مكسيموس الحكيم

هُني بنشرها حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

توطئة

ما كاد برتقي سليفروس القبرصي سدّة البطريركية الانطاكية حتى اثار جذوة الاضطهاد على الشعب الكاثوليكي وبذل اقصى جهده وعنايته في ان يستأصل منهُ العقيدة الكاثوليكية فتفنّن ما شاء التفنن واتى ما فتئت لهُ فكرتهُ من ضروب الحيل والقسوة في عود قومهِ الى الشقاق حتى ظنَّ جهلُ اهل القرن الثامن عشر ان الكثوليكية كادت تمّحي من صدور ابناء الطائفة الملكية الكريمة لولا الله العزيز يتداركها بلطفٍ من علائهِ ويسدّد خطاها ويشدّد عزائمها في ذلك المترك الهائل والاضطراب المستدّ الصدى

وفي سنة ١٧٢٥ اصدر هذا البطريرك خلاصة ايمان ضمّنها « انكار القضايا الخمس وقاعدة الكلام الربّاني في الاسرار ». وحمل الناس على تلاوتها وكل من ابى الاعتقاد بما فيها دفعهُ ليد القضاء حتى غصّت السجون باولئك الاشراف الاماجد وهبَّ حينئذٍ العلّامة عبدالله زاخر الى تفنيدها بكتابٍ سماهُ « البرهان اليقين على فساد ايمان المشاقين » واضطُرَّ بعدهُ ملكية حلب الى تأليف « اخوية لنصرة الايمان الكاثوليكي » من « روساء ومتقدمين . روساء عشرات كلهم متصفون بالغيرة نحو نصرة الايمان المقدس منهم عشرة انفار ورؤوس على الجميع » انتهى بعضهُ مما رواهُ مؤرخو الرهبانية الشويرية الجليلة

وقد كان يترتب على كل فرد من هذه الاخوية ان يتلو « صورة الايمان الكاثوليكي » دلالةً على اقراره به وقد نشر هذه الصورة حضرة الاب لويس شيخو في مشرقهِ الاغرّ (١٥ : ٦٥٧ وما يليها) فعارضهُ حضرة الخوري قسطنطين الباشا في نسبتها الى عبدالله زاخر مدعياً انها من تأليف مؤسس الرهبانيّة المخلصية المطران اثنيسيوس الصبغي (المشرق ١٦ : ١٠٦) على ان ما اعتمد عليهِ حضرتهُ فيما ارى لا يسند مدّعاهُ ولا ينفي كل اعتراض عنهُ . . . ولعل صاحب المشرق الفاضل يعثر في المخطوط الذي اخذ عنهُ « صورة الايمان » على قوانين تلك الاخوية (١ وهي اذا وجدت فهو لا محالة من اشارة الى تلاوة تلك الصورة او الخلاصة الكاثوليكية

ولا ريب في ان هذه الاخوية قد بلغت ما قدّرتهُ من الانتشار والازدهار بفضل عناية الحبر الاروع الخطير المطران مكسيموس الحكيم وقد وجّه اليها في سنة ١٧٢٣ رسالة ضافية اثنى فيها على نشاطها وغيرتها وحضّها على مواصلة اعمالها وملازمة الثبات في مناهجها القويم واكثر لها فيها من عبارات التجمّل والتنزية على ما تحملهُ افرادها من ضروب المشاقّ والمغارم في سبيل نصرة

١) لم نجد هذه القوانين في المخطوط المذكور (المشرق)

الايمان الكاثوليكي . وهذه الرسالة الجليلة تدلّ على ما كان عليه ذلك الحبر العظيم من الرسوخ في التقى وسائر الفضائل السامية والتشبّع من الروحي وآيات الاسفار المقدسة ولعلي اعود في فرصة اخرى الى نشر ما اتصل بي من اعماله ومحامده ان شاء الله

(20) من مكسيموس مطراننكم وخادمكم الى الرعية المقدسة ، الاخوية الكاثوليكية ، جزيل البركات السموية والارضية

انهُ لمن الواجب ان يتبع الاجناد قائدهم وان (21) يتشبه الجيش بالاناس الاتقياء من معسكرهم . وفي هذا اوصى الرسول المؤمنين ان يتشبهوا به كما تشبّه هو بالمسيح . وانهُ لمستحب ومستحسن ان يتذكر الجيش في معركة الكفاح الحالة التي سلكها قائدهم واسلافهم لكي يسلكوها هم ايضاً كونها هي الحالة المستقيمة التي توصل تابعيها الى الغلبة باعدائهم . فمثل هذا التذكار هو حميد ومفيد جدًّا لنا الآن نحن المحاربين ضرورة في ميدان هذه الهيجاء . لانهُ اذ قد تحقّقنا بحقيقة الايمان ان الله قد اختارنا بسيدنا يسوع المسيح الذي جعلهُ لنا رأساً ورئيساً ابديًّا يدوم معنا بشخص نائبه الحبر الاعظم ذي الرئاسة المطلقة . وصيّرنا به جسداً مقدساً منتظماً في كنيسته التي هي امّنا كلّنا واشركنا باعضائه المختارة الذين شاركوا آلامهُ وسألنا اخوتهُ واخوة بعضنا بعض (22) وبموجب هذا الاستحقاق العظيم الذي خصّصنا به الهنا الجواد بيسوع المسيح ربنا وقائدنا . وقد اعدَّ لنا حيوةً ابدية سعيدة ان نحن قفوناهُ وتبعنا اثر خطواتهِ . فيا ما اعظم حظّنا واسعدهُ ان نحن سلكنا هذه الطريق الضيقة الامينة التي سلكها قائدنا الحقيقي يسوع المسيح مخلصنا . وقد تبعهُ بها اسلافنا في ميدان الجهاد المقدس والآن قد حظوا به متكللين

فلننظر الان ايها الاخوة المحاربون كيف كانت حيوة قائدنا . وفي اي حالة تقضّت وما هي الطريق التي سلكها بها . فمن المعلوم ان جميعكم تجيبون بما شهد به الانجيليون انهُ تعالى اتى لكي يقبل الآلام . واذا تصفّحنا حالات حياته فاننا نراها قد تقضّت بفقر مدقع (مدقع) مذيب واتعاب مختلفة متزايدة وغربة مديدة متطاولة واضطهاد شديد مقلق وافتراء محض مزعج (23) وضيقات متنوعة متتابعة وآلام موجعة تتّالة واخيرًا انتهت بموت شنيع مهين جدًّا . فهذا بعضُ البعض من المتاعب

التي عاناها معلمنا وقائدنا في طريق حياته المقدسة . وبهذا غلب العالم والقى اركونهُ الى الخارج وقام غالباً ظافرًا بمجد ربوبي

هكذا اخوتنا الاتقياء ارباب هذا الجيش المقدس الذين جاهدوا المالك بصير وشهامة . وقد اجازوا كل حياتهم وهم ساعون على الرجاء المكين واحتملوا العذابات الفادحة والميتات المتنوعة تبعاً لقائدهم لكي يماثلوا حياتهم بحياته . واخبارهم تشهد لهم على ما صابروهُ من الاتعاب الشاقة والاوجاع الناكية . وبمثل هذه الحال المؤلمة المحتقرة قد حصلوا غالبين وصاروا فائزين وقهروا اعداءهم الذين هم الجسد والعالم والشيطان . والآن هم في السماء مكللون مع سيدهم (24) الذي غلب وجلس على كرسي ابيه . ووعد لكل من يغلب ان يُجلسهُ معهُ على ذلك الكرسي الذي هو المجد الابدي

كذلك امنا الكنيسة المحاربة ايضاً قد تجاهد مقابل المضطهدين دائمًا وتقاوم ظلمهم وكفرهم وتحاربهم بتعاليمها المستقيمة . وقد طردت الذئاب المفسدة بصبر مقدس وقطعت بكلمة الحق كلّ باطلهم وهذيانهم . ومع ذلك كانت تتفداهم (تفتادهم) وترشدهم وتقبل الضالّة منهم بفرح وهشاشة . ولم تزل مستعدّة لمحاربة العالم واراكنته الى استقبال الراجعين اليها لانها امٌ حقيقيّة . ومن شيمها التربي والاحتمال وطرد المضلّ والضال . وبهذا تربي اولادها وتظفر غالبةً بمن يحاربها كما فعلت ولم تزل فاعلة

فها هوذا يا اخوتي قد اوردتُ لمحبتكم مختصر (جزء) الحالات التي قضى بها حياتهُ قائدنا واخوتنا الاتقياء . وها قد اوضحتُ بايجاز الطريق التي سلكوها والغاية التي حصلت لهم منها . ولمّا كنّا نحن معهم جيشاً واحدًا في حضن امنا الكنيسة الجامعة المتحدون (متحدين) بها بايماننا العامّ المقدس وصرنا اعضاء هذا الجسد الوحيد المبتاع بالدم الكريم وحصل يسوع المسيح رأسنا وقائدنا . فقد لزمنا ان نتألم معهُ لكي نملك معهُ كما فعل اخوتنا الذين تقدمونا . ومن الواجب ان تتألم الاعضاء مع رأسها وتحارب معهُ لكي تظفر بظفره وحينئذٍ تتملك معهُ . ولهذا يقول الرسول الالهي (٢ كور ١ : ٧) : ان كنتم شركاء الآلام فستكونون شركاء المجد ايضاً » . فهكذا يجب علينا ان نتذكر حيوة مخلصنا الذي هو رأس ايماننا . ونتبع اثر خطواته

في الجهاد المنصوب لنا . وفاتل القديسين الذين تقدمونا . لان « كل الذين (26) يعيشون بتقوى بهِ سيُضطهدون » (٢ طيموثاوس ٣ : ١٢)

.ولقد سمعت بما حركهُ عليكم الاعداء الذين يريدون يَرْأسوكم ويتسلطوا عليكم لا لكي يفيدوكم بتعليمهم ومثلهم حقائق الايمان والاعمال الصالحة بل لكي ينتقموا منكم ويظلموكم ويشقُّوكم ويقدّموكم الى الحكام والولاة تقدمة ظالمة ويسلبوا اموالكم ويتلفوا ديانتكم ان قدروا . والذي سبق من اعمالهم يعلمنا بما هو عتيد ان يفعلوهُ

وقد بلغني ايضاً ما اظهرتموهُ من الشجاعة المقدسة والغيرة المسيحية اللائقة بابناء الكنيسة الحقيقيين الذين يحمون عرض أمّهم . اعني حرية الايمان الكاثوليكي المستقيم وهذا من الواجب ان يُفضَّل على خيرات العالم باسرها حتى وعلى هذه الحياة ايضاً . وقد سرَّني هذا الاضطهاد الجديد الذي تقدّم بهِ لله مجدًا واكراماً (27) وللكنيسة شرفاً وبهاء وللقديسين سروراً وابتهاجاً وللمؤمنين تمكيناً وثباتاً وللشياطين خزياً وعذاباً وللاعداء توبيخاً وعاراً . حقًّا يا اخوتي انني لما تأملت مثل هذه الخيرات المعتبرة عندي لعظم قيمتها الجزيلة جدًا سُررت مغتبطاً واشتهيت ان اكون حاضرًا معكم بجسدي كما انا حاضر عندكم بروحي لكي اشترك بمثل هذا الشرف الرفيع . الّا ان الله قد رأى لنا رأينا افضل صواباً حيث لم يرد ان اكون عندكم لئلا يثقل عليكم امري . ولكن في هذا كفاية لتعزيتي ومسرَّتي ان اسمع عنكم بانكم مجاهدون ومستعدُّون للجهاد ايضاً . وهذا الفرح المقدس قد فعل بي فعلًا هذا حدهُ حتى اني فرحت ايضاً بخسارة الاموال التي أُصرفت بمثل هذا الجهاد الحسن . لاني سمعت الرسول الطوباوي يمدح الذين صبروا على اختلاس اموالهم بفرح (28) . ولهذا انا امدحكم ايضاً لانكم دفعتم اموالكم فدية عن ايمانكم بفرح . ولتعلم محبتكم باوكد الايقان انهُ قد حصل لكم بدفع هذه الاموال اجرًا عظيماً (اجرٌ عظيم) اعظم من الذي يعتبر كنيسة في هذه البلدة . لان هذه الاموال قد أُعطيت لاجل ثبات الايمان وعمارة الكنيسة المتنفسة التي هي جماعة المؤمنين بالمسيح واعضاء جسدهِ المقدس . ومن المعلوم ان عمارة المؤمنين لأفضل

شرفاً من عمارة مجامع المؤمنين. لان هذه غايةٌ وتلك واسطة لهذه. والغاية اجلُّ واعظم من الواسطة بأضعاف

فلهذا سرّوا ايها الاخوة المكرمون بالخير الذي انشأهُ الله بكم واقامهُ بجهادكم. ولا تحزنوا لاجل تلاف (تَلَف) الاموال الزائلة التي لا بدَّ لنا ان نتركها وتتركنا هي ايضاً ثم يتسلّمها غيرنا ويتلفها وربما في طريق غير صالحة. بلِ ابتهجوا واجذلوا (29) بالخيرات الراهنة التي سيعطيناها ربنا يسوع المسيح اذا غلبنا كما غلبَ. فلنجاهدنَّ اذاً بطمأنينة ولنسعَ بهذه الطريق المستقيمة المؤدّية الى حيوة الابد. ولا نشفقنَّ على شيء ارضيّ بل نشفق على مخلّصنا الذي سفك دمهُ لاجلنا وهو يطلبنا اليهِ لكي نتبع اثر خطواتهِ ساعين في هذه الطريق التي هيّأها لنا بهذه الايام منّةً جليلة منهُ تعالى. لانهُ يعلم كل شيء ويعلم بالذي هو انفع لخلاصنا ويدبرهُ بمشيئة صالحة. فلنقبلهُ نحن بشكر وارتضاء ونجدَّ في طلبهِ بفرح واجتهاد ساعين في الجهاد المنصوب لنا منهُ لمنفعتنا وربح الخلاص الابدي

ولكنَّ هذه السبيل القصيرة ونحن حاملون عارهُ بافتخار متدرّس عالمون انهُ بهذا يرضى بنا وعلينا. وان شاء فانهُ يغنينا وان كنّا فقراء. وان سمح فانهُ يفقرنا ولو كنا اغنياء. وقد نرى مثل (30) هذا باعيننا كل يوم ونعرفهُ جيداً. ولقد نعلم ان الله العادل قد دبّر هكذا وهو ان اناساً اغنياء قد اجتهدوا ان يحموا مالهم بديانتهم واتلفوها خوفاً على مالهم. فاهملهم الله واتلفوهما كليهما. وقد خسروا الدنيا والاخرى معاً

فاعتبروا بمثل هؤلاء الذين ليس لهم همٌّ واهتمام الّا بما هو ارضيٌّ. ويختصّ بالتدبير العالمي فقط فمثل هذا الاهتمام الردي الذي يشونهُ هؤلاء تدبيراً ليس هو تدبيراً بل إدباراً ودَبَاراً. وهو رأي الاناس الاشرار خدّام هذا العالم الباطل الكذّاب لا المسيح. اما انتم يا اولادي الاحباء فلا تهتمّوا بالعالم ولا فيما للعالم الخدّاع بل اهتموا فيما للرب الصالح الصادق في مواعيدهِ ووعيدهِ واجتهدوا في حماية الايمان الكاثوليكي المستقيم الذي بدونهِ لا يرى احد ربّنا يسوع المسيح (31) واستعدّوا لمحاربة اعدائهِ دائماً بنيّة مستقيمة صالحة. كونوا حكماء في تصرّفكم الجيد لا بروح العالم المضلّ بل بروح المحبة والاخلاص بروح الفطنة والشجاعة بروح

الغيرة والسلامة الباطنة كونوا حكماء مع الخارجين عنكم وودعاء مع بعضكم بعضاً وروح الرب يحلُّ فيكم ويرشدكم في كل عمل صالح . لا تخافوا الاشرار بل خافوا الرب وحدهُ وتمسَّكوا بايمانهِ تمسكاً حسناً واحفظوا وصاياهُ حفظاً جيداً . وهو يرد اعداءكم على اعقابهم ناكصين ويضاعف عليكم الخيرات الروحية والجسدية . وانا ابتهل اليهِ تعالى في شأن ثباتكم وتمكينكم وان يكون معكم وينميكم ويكثركم ويرشدكم حافظاً (لكم) في الطريق المستقيمة المؤدية الى حياة الابد . حيث قائدنا واخوتنا المجاهدون امين

(32) سلّموا على كل اخ بالمسيح من الكهنة والعوام شركاء ايماننا المستقيم . يسلّم عليكم اخينا (اخونا) الخوري نيقولاوس الرئيس المكرم . وكل جماعة الرهبان الاتقياء مع ولدنا الشماس عبدالله التقي . وكل الذين عندنا يقرأونكم السلام . والنعمة والبركة مع جميعكم امين

سُطرت بدير ماري الياس النبي (بقرية المحيدثة من ناحية المتن بلبنان) في اليوم الـ ١٤ من شهر آب سنة ١٧٣٣ م

خاتمة

وهي المرَّة الاولى التي يُنشر فيها شيء من رسائل المطران مكسيموس وقد ظفرت بنسخة منها بخط شماسهِ لاونديوس سالم الحلبي فهو ادعى الى الثقة بهِ والاعتماد عليهِ فيها لانهُ نقلها فيما يظهر عن نسخة مؤلفها الجليل والنسخة حسنة الخط تقع في ٣٩٦ صفحة من القطع الثمن الصغير . والرسالة جليلة القدر جزيلة الفوائد لما حوتهُ من ايات التعازي والمراثد ومؤلفها الحكيم كاتب عارف باصول اللغة العربية وما فيها من الخفرات لا سيما في تعدية بعض الافعال واستعمال بعض الالفاظ متنفَّر لهُ اذا علم المطالعُ قصور يد كاتبها في عهدهِ عن الوصول الى وسائل التدقيق المتوفرة في هذا العصر

واما « الاضطهاد الجديد » الذي اشار اليهِ في خلال الرسالة فهو ان سلبستروس السابق الذكر كان ارسل الى حلب بعد رحيله عنها وكيلاً عنهُ واهباً يدعى « حبيب الاعور » في ٢٠ تموز سنة ١٧٣٣ فنهضت الفتنة الكاثوليكية او « الاخوية الكاثوليكية » الى مقاومتهِ حتى تمكنت من طردهِ وابقاء الكنيسة في حوزتها بعد ان انفقت على ذلك ثمانية الاف وخمس مئة غرش وهي تعادل خمسة واربعين الف قرش من النقود الدارجة اليوم

وكان سلبستروس هذا اعاد حلب الى ولايتهِ البطريركية بامر سلطاني في اواسط سنة ١٧٣٢

بعد ان خلصت منها ربقة سلطانه الجائرة بخط سلطاني ايضاً في مناوي سنة ١٧٣٠ فلما تمكنت الثلة الكاثوليكية من إبعاد ابن الاعور فصلت حلب عن سلوقية في سنة ١٧٣٦ واعادتها الى عهدة مكسيموس مؤلف الرسالة المنشورة بتوسط والي حلب وقاضيها فعاد اليها راعيها الحكيم في سنة ١٧٣٦ بعد ان قضى في لبنان ثلث سنين وقد انفقت هذه الثلة على ذلك سبعة الاف وخمس مئة غرش وهي تساوي اربعين الف فرنك من نقود اليوم

فيكون جملة ما انفقتهُ ٢٥٠٠ ليرة فرنسوية وهو بعض ما تكبدتهُ من المشاق والمغارم في سبيل الايمان الكاثوليكي جزاها الله جزاء الخير وخير الجزاء

واما الذين اشار المطران اليهما في آخر رسالته فهما الخوري نقولا الصائغ والشماس عبدالله زاخر اثابهم الله ونوّل ثراهم بوابل الرحمة والرضوان انهُ سبحانهُ اللطيف الكريم

المناعة

محاضرة لجناب الدكتور حبيب افندي الدوعري القاها في ندوة جمعية الاطباء والصيادلة في غرة نيسان

المناعة مسئلةٌ حيوية صعبة المراس كثيرة التشعُّب لم تزل وقفاً على البحث ولن تزال كذلك ما دامت في حيّز الحدس والافتراض من حيث تعليلها واستجلاء خفاياها والسبب ان مجهولات جمّة تعترض الباحثين في حلّها وكلّما كُشف عن واحدة تقوّض شيء من بناء النظريّة المعوّل عليها في شرح المناعة وتعريف اعمالها . فاذ ذاك تقتضي الحال تشييدَ نظريّة جديدة تنطبق على المعارمات الحديثة التي فاز بها العلم على يد العلماء الدائبين في استخراج مكنونات البيولوجيا

والبرهان ان شارحي المناعة ذهبوا في شروحهم ونظرياتهم مذاهب شتى ليس لي في هذه الوقفة ان آتي عليها كلّها بل انني اقطع بكم كل هذه المراحل المهجورة على قطار سريع فلا نقف حتى نَلج المحطّة الكبرى اعني بها نظريّة العلّامة إهرليخ (Dr Ehrlich) وهي التي استهوت طلّاع هذه المباحث وأرضت شروحها جماعة المنقّبين عن حقيقة المناعة وحركة آلاتها

لمَّا شاعت هذه النظرية كتبتُ في تعريفها مقـالًا مسهباً في مجلة المشرق سنة ١٩٠٠ (٣:٦٤٧) فيكون قد مضى عليها اثنتا عشرة سنة وهي صابرة على محكِّ الانتقاد واليها المرجع في فهم المناعة وادراك عملهـا . وكنت في كل هذه الفترة أتعقَّب كلَّ شاردةٍ من هذه المسئلة فأعيها وأبحث عن المعلومات المستحدثة في هـذا الصدد فأعلقها عليها الى ان أعلنَ الدكتور ريشه (D' Richet) يوقوع الانافيلكسيا وهي عكسُ المناعة كما تعلمون فدرست تفصيلها ونشرت السنة الماضية في مجلة المشرق ذاتها مقالةً في خواصها العجيبة (١٥:١٢٣)

كتبت هذين المقالين ولم يـدُرْ في خلدي ان سيأتي يومٌ تتوالى الاكتشافات البيولوجية وتنجلي بعض غوامضها فيلوح لنا ان هذين المظهرين المناعة وعكسهـا ينشأانِ من اصل واحدٍ وانهما فرعان نبتا على أرومةٍ واحدة غير ان كلًّا منهما أخذ وجهةً مخالفة للآخر فأصبحـا متعاكسَيْن في مفعولهما . كقولك الإباء والكبرياء فكلاهما عاطفةٌ نفسانية تولَّدت عن ترفعٍ في النفس فكانت خلَّةً حسنةً في الإباء وصارت نقيصةً لمَّا أضحت كبرياء . ومثلهما البخل والاقتصاد فان منشأهما حبُّ الاحتفاظ بالمال الَّا ان هذا الميل عيبٌ في البخل وفضيلة في الاقتصاد . وعلى هذا النحو تجري المناعة والانافيلكسيا

ولكن قبل تفصيل هذا الرأي الجديد الذي يرجع شيوعهُ الى عهد قريب بل ايَّام قليلة وينير منعطفات المناعة بانوارٍ علميـةٍ جديدة تبدِّد ظُلُماتهـا وتكشف معجماتها رأيت من الضروري ان أجعلَ تكلم نظريَّة الدكتور اهرليخ في المناعة لان نسبتها الى الرأي الجديد الذي سأشرحهُ كنسبة القاعدة الى البناء او نسبة البناء الى حاجاته وكمالاته

*

من المعلوم ان في كل خليَّة من خلايا الحيوان مادَّةً أولى هي ركن تكوين تلك الخليَّة يسمونها پروتوپلاسما اي الجرثومة الاصليَّة او النطفة الاولى (راجع الصفحة ١٦١) وفي كل جرثومة توجد عناصرُ من دأبها ان تجذب اليها الموادَّ المغذية السائرة في الدم فتخزنها وتأتلفَ بهـا ائتلافاً شديداً . فقد شوهد مثلًا ان الكَرَّ موجود في البروتوپلاسما ليس محلولًا بل متحدًا اتحـادًا لا تفصلهُ الَّا الحوامض

الكيماوية. وعلى هذا المنوال يعتبر اهرليخ في البروتوبلاسما عناصر اخرى تحصل بينها وبين المادة السامة المدعوة بالتوكسين (toxine) الموجودة في الدم مجاذبة شديدة وقد دعاها بالسلاسل الجنبية (chaînes latérales) ثم افترض لها طرفين الواحد متصل بالبروتوبلاسما وسماه حامل السم (toxophore) والطرف الثاني سائب بشكل كلاب سماه حامل الكلاب (haptophore) وعنده ان السلاسل الجنبية اذا شمت رائحة التوكسين في الدم تسعى اليه حتى تلتصق به وتمسكه بواسطة كلابها . واذا تم هذا الاندغام تصبح السلاسل الجنبية معطلة اي غير صالحة للقيام باعمالها الطبيعية فلا تعود تجتذب المواد الغذائية لان مواد التوكسين متى علقت بها لازمتها مدة طويلة

فلا بد اذ ذاك ان سلاسل جديدة تخلف السلاسل المعطلة حتى تقوم بعمل الغذاء وذلك ما يتم فعلا جرياً على ناموس ڤيدكرت (Vidkert) القائل بان الطبيعة سخية في هباتها وترد المفقود اضعافاً اضعاف . فاذا حصل ذلك وأشبعت تلك السلاسل الجديدة بالتكاسين تعود تتعطل بدورها ثم تخلفها سلاسل جديدة غيرها ويستمر التعطيل والتجديد على هذا النمط حتى يتفاقم عدد السلاسل في الخلية الواحدة فيصبح ثقلا وعبئاً عليها فتضطر الى ان تقذف بعضها وتدفعها الى مجرى الدم فتسير فيه سائبة . وقد تستمر في حالة انفصالها على نفس العمل الذي كانت تعمله حين كانت متصلة بأصلها اي انها تلتهم التكاسين التي تألفها طبعاً حيثما صادفتها في الدم وبهذه الطريقة تقوم المناعة في الجسم لان السلاسل السائبة تروح وتغدو في مجاري الدم وتكمن للتكاسين التي تسبح فيه فتقبضها وتحتفظ عليها اللهم اذا كانت تلك التكاسين من ذات الجنس الذي كان علة توليدها ولهذا السبب سموها انتيتوكسين اي مضادة للتوكسين

تلك خلاصة نظر اهرليخ في المناعة وفضلهُ فيه انه عدل بكليته عن الاراء التي تقدمته فنسب علة المناعة الى مبدإ حيوي عامل بينما كانت آراء من سبقهُ تحصر تعليلها في فعل الامتزاجات الكيماوية فكأني به قد شيَّد نصباً للمناعة على قاعدة علمية واعطاهُ شكلهُ ورسم فيه اعضاءه ومثَّل رأسهُ ولكنَّ ملامح ذلك التمثال بقيت مطموسة مدة من الزمن حتى جاء نوابغ النحاتين فاجالوا ازاميلهم

في ذلك الوجه المطموس وحفروا المقعّرات وصقلوا النواتئ فظهرت الملامح ونسبت الى المتأملين بها عن هويّة الشخص الذي قصدوا تمثيلهُ

ان المناعة حسرت عن وجهها وبان محيّاها لمّا ان فصّلت الاختبارات ما قد اجملهُ اهرليخ فاعلمتنا مثلًا ان ما يسميه اهرليخ بالسلاسل الجنبيّة انما هي مجموع مواد كالملصقات (agglutinines) والمحلّلات (lysines) التي تكفل منها دورٌ خاصّ في ايجاد المناعة او إحداث الانافلكسيا . فضلًا عن ان هذه المقتبسات العلمية الحديثة اصبحت حقائق محسوسة يمكننا استخراجها وفرزها ودرس خواصها كما سنبيّن :

قلنا ان المناعة مسئلة كثيرة التشعّب . انما يسهل علينا ادراكُ هذا المظهر العجيب اذا اعتبرنا انّ بين البدن والعوامل المرضيّة جهادًا متواصلًا وان هذا الجهاد جارٍ على خطّةٍ حربية نظامية بديعة الترتيب فهناك القلاع المنيعة تقاومُ العدوَّ وتثبتُ في وجههِ على قدر طاقتها وان غُلبت على أمرها زحف حماتُها للاقائه والاحاطة بهِ فتفتك بهِ وتصدُّه حتى تنال الغلبة او يقوى هو عليها فيتمُّ له الظفر . اما القلاع الثابتة فهي مجموع الخلايا المكوّنة لانسجة البدن على اختلافها واما الحامية فهي تلك الخلايا السائبة السابحة في مجاري الدم اعني بها الكُرَيّات البيضاء التي تُغيرُ على الجراثيم المرضيّة وتمدُّ يد المساعدة الى الخلايا لكي تأخذ بناصرها وتُقصي عنها تلك الجراثيم الدخيلة

واذ تقرّر هذا التشبيه وهو في الواقع حقيقةُ الحال لننظر كيف يتمّ هذا العمل :

انّ الخلايا الثابتة في مواضعها والخلايا السائبة وهي كُرَيّات الدم البيضاء (leucocytes) تعمل سويّةً على ابادة الجراثيم المرضية بابتلاعها فان فازت بهذه المهمّة ساقتها غنيمةً باردة والتهمتها او دفعتها الى مخزن المواد المهضومة برسم التمثيل . اما اذا كثّرت تلك الجراثيم من انيابها وافضى الامر الى النزال والاقتتال فلا غروَ ان الخلايا — اذا قُدّر لها الفوز — لا تخرج من هذه المصادمة الّا وقد لحقَ بها ضررٌ ونالها تعطيل

اما السموم المهاجمة فثلاثة انواع : نوع ضعيفٌ ذليل بطيء التحليل فيتمُّ

عضله تدريجاً ويُفرزُ الى الخارج بهدوء ومن دون حركةٍ مرَضية

ونوعٌ اشدُّ من الاول واغزرُ مادَّةً او اقرب تحليلاً فهذا لا يتمُّ دفعُهُ الى الخارج الَّا مرفوقاً بانفعالٍ موضعي او عمومي تختلف درجة شدَّتهِ

ونوع غايةٍ في الشدَّة والوفرة ينحلُّ تركيبهُ الكيماوي بغتةً فيحصل منهُ انفجارٌ السمّ بعد هضمهِ بكتيَّة غزيرة فيقتل الجهاز البدني ويبيده

فينتج مما تقدم ان الانفعال الحاصل من الجرثومة المرضيَّة الداخلة في الجسم يكون بنسبة كيَّتها وماهيَّتها. ومقياسُ شدتهِ يدلُّ على درجة التأثر اللاحق بالبدن في سياق عراكهِ ضدَّ المرض . وهذا الانفعال — بقطع النظر عن كميات الجراثيم وماهياتها — قد يختلف شدةً او ليناً حسبما يكون حصل بينه وبين المرض نزالٌ سابقٌ او كانت تلك اول واقعةٍ التقيا بهـا. فمن ثمَّ اما ان يكون الانفعال خفيفاً فيقولون انَّ هناك مناعةً او انه يكون في إبَّان التأثر والشدة فتكون منه الاناڤيلكسيا اي عكس المناعة

اما إحداث هذه الاعراض الانفعاليَّة فليس محصوراً بتوكسين الميكروب حسبما جاء في نظرية اهرليخ بل يوجد موادّ كثيرة كالميكروبات الميتة ونفايات الخلايا والموادّ الزلالية وغيرها التي تثير انفعالاً في الجسم اللهمَّ اذا كانت سبقت فدخلته غير مرَّةٍ وقد اطلقوا عليها اسم انتيجان (antigéne) اي مولّدة الاضداد لانها لا تكاد تلج الدم حتى يقذف في وجهها من باطن الكريَّات اضداداً للنكاية بهـا يدعونها أنتيكور (anticorps). وتسهيلاً للتعبير اسمحوا لي في سياق هـذه المحاضرة ان اترجم عن الانتيجان بالمولّد او المولّدات وعن الانتيكور بالاضداد

وهنا يظهر لكم ان الدائرةَ التي حصر فيها اهرليخ عمل التوكسين قد اتَّسعت كثيراً وشملت كلَّ مادةٍ تدخل الجسم وتُحدث فيه انفعالاً فسمحت لنظرنا الحاسر ان يوسع مجاله ويرى مظاهر كثيرة أُغلقت علينا من قبل ويحلُّ إشكالها بردّها الى الاكتشافات الحديثة وكما ان الجسم بكليَّتهِ تنشأ فيـه خواصُّ جديدة لدى احتكاكهِ بالمولّدات كذلك مصل الدم فانه يكتسب ايضاً خواصَّ جديدةً ونوعيَّة. وليست هذه الخواصُّ وهميَّةً بل فعليَّةً يمكننا الوقوف عليهـا في قوابل المختبرات

الكيماوية بما يحصل من الفعل الظاهر للعيان كلما جمعنا بين هذا المصل وبين مولدات خواصه الامر الذي لا يحدث في المصل السليم

وهذه التوطئة تدنينا من النقطة التي تدور حولها مسئلة المناعة اعني بها خواص المصل المكتسبة وخواص الاضداد

غير خافٍ ان معظم المولدات بل كلها موجودة في حالةٍ يدعونها شبه غروية (état colloïdal) وقد يكون فعل المصل فيها على حالين اما بتجميدها او بتسييلها. واليكم مثالاً نأخذه من المولدات الميكروبية : اذا جُعلَ ميكروبُ الكوليرا في مصل دمٍ جديد تراه يتحرك ويعيش كما لو كان في مرقِ الاستنبات اما اذا وُضع في مصل دمٍ مُمنَّعٍ فني الحال تقف حركتهُ ويتلاصق ويتجمد كُتَلاً صغيرة ثم يعقب هذا التجمدَ تسييلٌ بطيءٌ ينتهي بتحليل الميكروب (bactériolyse)

وهذا مثالٌ اخر باعتبار الحليَّات كمولدات :

اذا وضعنا كريَّات دم الخروف الحمراء في مصل ارنب جديدٍ تبقى تلك الكُرَيَّات سليمةً كما لو كانت سابحةً في الماء المالح الفسيولوجي . امَّا لو كان هذا مصل الارنب معالجاً من قبل بتلك الكريَّات الحمراء لرأيتها تتجمد اولاً ثم تأخذ بالانحلال

وفي الحالين سواء كانت الاضداد من المُلصقات (agglutinines) او من المحلّلات (lysines) لا يكون مفعولها الَّا نوعيًّا اي انها لا تبرز بخواصها المكتسبة جديدًا الَّا اذا خالطت مولداتها . وعليهِ اذا اعتبرنا المثالين الآنف ذكرهما وبدلنا ميكروب الكوليرا بباشلس التيفونيد ودم الخروف بدم الثور فلا يحصل أدنى تغيير بل يظلان كما لو وُجدا في مصل جديد . وليست تلك الخواص مجرَّد افتراض — كما نوَّهتُ سابقاً — بل هي حقيقة اختبارية تمكِّننا من افراز كل من المُلصقات والمحلّلات واعادة مفاعيلها في القابلات الكيماوية

وخلاصة القول ان تأثير السموم في الجسم على اختلاف اجناسها بالنظر الى شدة خطرها او قلَّته يرجع الى امتداد سطح هذه السموم او انقباضهِ وبعبارة اخرى الى شدة ذوبانها او قلَّته في السائل الذي تُوجد فيهِ. ومثلُها مثل ركامٍ من الثلوج تلبَّدت على رأس منحدر في اسفلهِ قريةٌ فان أخذت هذه الثلوج تذوب تدريجاً اجرت الماء

من تحتها فانحدرت في مسيلها وغارت في الوديان والسهول اما اذا افترضنا حاملاً قوياً اذاب تلك الثلوج دفعةً واحدة فلا ريب ان انحلالها الفجائي يتهمر سيلاً عرمرماً يجرف القرية ومن فيها. ولا عجب فان هذا الامر نشاهده في المواد العلاجية . فكم مادةٍ منها — الكالومل مثلاً — تكون قلة خطرها من قلة ذوبانها بالرغم عما فيها من الاصول السامّة التي لو طرأ ما يعجّل في ذوبانها لصار سمُّها ذعافاً . وعلى هذا النحو تتصرّف كل الانتيجانات من المواد الشبه الفروية التي نحن في صددها .

على ان بعض هذه الانتيجانات كالميكروبات وخلاصاتها (endotoxines) تكون من طبعها مستعدة للتجمد قبل ولوجها في الجسم وبعضها مستعدة للتسييل اكثر منها للتجمد كالخليّات والتكاسين الكثيرة الذوبان فعندما تدخل في الجسم يزيد هذا الاستعداد او ينقص حسب خواصّ الوسط الذي توجد فيه . مثال ذلك ان تُدخل في جسم رجلٍ سليم قليلاً من التوبركولين (tuberculine) بمقدارٍ جزء من مية من الف فلا ينتج فيه أدنى انفعال لا موضعيًّا ولا عموميًّا لان هذه الجرعة في الظروف العاديّة لا تنحلّ الّا على وِسلها وفي زمنٍ مديدٍ مما لا يساعد على إحداث الانفعال . اما اذا أدخلتَ ذاك المقدار في رجلٍ مصدورٍ فانهُ يُحدث انفعالاً عموميًّا وموضعيًّا لانه يوجد في مصل ذلك المصدور كميّة من المحلّلات (lysines) التي من دأبها ان تُسيل لجأة كميّة التوبركولين المذكورة

واليكم مثالاً اخر يُزيد المسئلة وضوحاً : اذا اخذنا مادّةً غير مضرّةٍ عادةً كمصل الحصان وحقنّا بعشرين كِلواً منه انساناً سليماً فلا يحدث هذا الحقن ادنى انفعال . اما اذا حقنّا بهذه الكمية انساناً محمّىً عولج بها قبلاً (اي انه من مدّةٍ سابقة حُقن بهذه المادة) فتحدث على الاثر اعراضٌ معروفةٌ بالأعراض المَصْليّة . ولماذا حصلت تلك الاعراض ؟ لان في مصل هذا الانسان المحمّى وُجدت محلّلات غير موجودة في مصل الانسان الاول السليم وبينما كانت السموم منقبضة وكامنةً في مصله لعدم وجود محلّلات تذوّبها كانت المحلّلات مرابطة في مصل الرجل المحمّى فتدانفت اجزاؤها وذوّبت السموم وحلّلتها فحدثت تلك الاعراض التي نسميها اليوم اعراض الانافيلكسية . وكما انه توجد في مصل الدم محلّلات تعمل الاعمال الآنف ذكرها قد يوجد ايضاً في مصل الدم موادّ تعاكس عمل المحلّلات وهي التي سميناها

مجمّدات فهذه تفعل ضد تلك اي انها تمسك الانتيجان وتجمّده فكأني بها تحبسه او تقيّده فلا يعود في امكانه نفث سمومه في الدم وبذلك تحصل المناعة لان مصل هذا الدم تكاثرت فيه الملصقات ورجحت كثيراً على المحلّلات فاصبحت الغلبة لها ومن ثمّ نشرت سطوتها في ذلك المصل فصار ممنّعاً

واذا حقنّا حيواناً ممنّعاً بجرعة قتّالة من ميكروبات الكوليرا الميتة فلا يحدث منها ضررٌ لان مصل هذا الحيوان ممتلئ من الملصقات التي من دأبها ان تضمّ الميكروبات الى بعضها وتضيّق سطح انتشارها . كذلك الميكروبات الحيّة فانها تظلّ حيّةً وتتكاثر اذا أُدخلت في وسطٍ مناسبٍ لها وبخلاف ذلك اذ أُولجت في وسطٍ ممنّع فانها تتوقّف في مكانها ويدخل عليها تكروس الالتصاق فيصير شأنها شأن الميكروبات الميتة التي اوردنا مثالها

والخلاصة التي يجدر بنا استنتاجها من مقدّمات هذه النظريّة ان المناعة تحصل من وجاهة الملصقات على المحلّلات في الدم لان بواسطتها تتمّ الشروط المقتضية للاشاة التسمّم وكسر شوكة الانتيجان من اي نوعٍ كان بتجميده في مكانه وتضييق سطح انتشاره حتى يدركه تكروس الالتصاق واذ ذاك تأتي المحلّلات وتفعل فعلها نافعاً بتحليله وتنظيف الجسم من نفاياته

لقد كنتكم الى الان هذه المزيّة النافعة التي في المحلّلات منعاً لاضطراب الافكار في تفهّم خواص كلٍ من الملصقات والمحلّلات كما ذكرتها فهي هي كما فصّلتها واعتبروها كما شرحناها مع هذه الزيادة وهي : ان اخلاق المحلّلات كاخلاق اللئيم اذا قدر لها ان تتغلّب في بادىء الامر فهي تتمرد وتستبدّ وتعصر السموم وتسيلها وتقذفها الى اقاصي الجسم لتقتله . امّا اذا تغلّب الكريم والكريم في موضوعنا هي الملصقات فإنك ترى المحلّلات تتراجع وتتدانى قدّام انداده الغالبة وتغسل لها اقدامها وتنظفها عن أوساخها وعلى هذا النمط يتمّ الدور الثاني من المناعة لان الملصقات بعملها الاول جمّدت الوادّ السامّة دون ان تلاشيها . ولكن بتجميدها لها منعت المحلّلات من عملها السيّل الفجاءي الذي منه خطر التسمّم وسمحت لها تحت مناظرتها بعملها المنظف وذلك بان تحلّل الانتيجان المجمّد تدريجاً بنوع ان لا يعود له كبير تأثير على الجسم بل يُقذف الى الخارج بواسطة الاجهزة الطبيعيّة

مزيّة هذه النظرية على سواها امكان تحقيقها بالاختبارات الكيماوية كما انها تجلّ عن الاعراض الكلينيكيّة فضلًا عن انها جاءت لنا مفتاحاً يفتح بهِ جميع ابواب المظاهر الحيوية المغلقة فبواسطتهِ أتيح لنا ان نسعى لترجيح الملصقات على المحللات حتى نساعد عمل المناعة وبهِ ندرك خاصيّة التلقيح والعلاج بالمصل واليهِ المرجع في ادراك التشخيص المصلي لفيدال (Widal) وطريقة وستيرمن (Westermann) في الكشف عن الزهري الى غيرها من المظاهر الحيوية التي سقط عجبها من اعين الاطباء لكثرة رؤيتهم لها لكنها ترشد عقولهم الى معرفة قدرة الله وتفعم قلوبهم شكراً لألطافهِ

قصيدة عامية

في الغلاء ووقوف الحال

من نظم الياس افندي سابكي الشامي

وهو مثال حسن عمّا في لغة العامّة من الطيبة والتفنّن في الكلام فضلًا عن الفكاهة

١ يا لطيف ويا ستّار مثل هالسنه ما صار يشتكي ارباب الكار
الصنّاع مع التجار

٢ صاحب الصنعه يا اخوان ما يسحب اجرة الدكان تشوفوه دايماً زعلان
ووجهه يقدح جرة نار

٣ ما يسحب اجرة الصانع ولذا عقله ضايع كسدانه عنده البضايع
وصاير بامره محتار

٤ صار يتدّين المصروف من صديق صاحب معروف وقلبه حزين ملهوف
ما عنده نفقة نهار

٥ بدّه يجيب لعياله طعين كونهم كلهم جوعانين واولاده مستظرين
واقفين باكين باب الدار

٦ يمشي حاكف الرحمن حتى يصل للثمان يقول له دخلك امان
قيد عندك بالدفتر

٧ قيد عندك طحين وزيت عمّال يصرخو في البيت وان كان الليلة ما اعطيت
ما نتعشى كبار وصغار

٨ يا عمّي انك مغشوش وطل الطحين بست قروش فكلامك عندي بوش
انصحك لا تتسرسر

٩ هذا عندنا سعر الزاد ولونه اسود زي الرماد وان سألت عن العتاد
اختفى وما له آثار

١٠ اشتكينا عل طحّانه قالوا الحقّ عل خزّانه حاله سودا وريّانه
ومطلي دايرها بشحّار

١١ والخزّانة ما بتردّ الذهب معها تعدّ والغني إيده ما يمدّ
يوتو من غير ستار

١٢ يخزنوا قوت العباد يحرموا الفقير الزاد هل تجارة يا اجواد
يبغضها رب الانوار

١٣ عندنا تاجر من اهل الود عنده ستين الف مدّ مهما تسبّه ما بيردّ
عابد الله والدينار

١٤ هلكت نصف مليون عباد حتى ينتفع افراد عشرة عندهم ايراد
وكالة الامة تتفهقر

١٥ ما عاد امكان الفقير يحصّل قوته خبز شعير وتاجر القمح مثل المير
وشواربه مثل عنتر

١٦ يقول السنة ربحان هذا فخره يا اخوان ليته يحلسه الشيطان
التاجر مع السمسار

١٧ حتى وصل معه الجور صار يسفره بهل زور لحيفا ولدير الزور
لحلب ودير عكّار

١٨ صارت غيرة وتجارة يفتكروا حالهم امارة لو وفروا ديون الحارة
ما يبقى معهم دينار

١٩ بهمة والينا الغيور باعماله دايماً مشكور بعث قوّة للبابور
ما يشحنو ولا قطار

٢٠ خافت كل الحرّانة البوايك عندها مليانة الحديدة كانت حيانة
حطّوه ببير ما فيه قرار

٢١ الله قدّر يا خالي كل شي بالشام صار غالي والان يخطر ببالي
اوصف كافّة الاسعار

٢٢ قفّة الرز بستين رطله تسعة عين بالعين والتاجر لما يزين
كانه يزين اسوار

٢٣ واللحمة اوقيّتها بقرشين تُدفع نقدي لا بالدين والسمنة رطلها باربعين
وبسبعة رطل السكّر

٢٤ زيت الكاز آه يا خالي الحمد لله ما هو غالي يبيعونه بالمثقال
بسعر القرفة والعنبر

٢٥ بتلات غروش البطاطة بالبطن تعمل شماطة يصبّوها بالجاطة
وتمشي عشرة لنفار

٢٦ يخرب بيت القرنبيط صار يباع بالقراريط رطله بخمسة شي بسيط
الاوفق ياكلو زعتر

٢٧ الفقير ياكل خبز حاف والنومة من غير لحاف حالته كاملة الاوصاف
بالورق ما تتصوّر

٢٨ لو تمشي ليلة زيتون يعطي اولاده بالقانون كل واحد مثل الهارون
يرضيه بخمسة ستة كبار

٢٩ والزيتون ما هو رخيص صاير بيّاعه حريص للسفر صار له ترخيص
المدّ باربعين قول اكثر

٣٠ وان مضاها ياكل فول انفع للصحة ومقبول يقول اطيب من المعمول
واكله يكون من دون عيار

٣١ والبقلاوى بالتقدير اكلها مضرّ للفقير تجعل له عمره قصير
بالمعده تساوي اضرار

٣٢ ما ياكل جنس الحليب بقلّة اكله قد يصيب مانعين اكله بالتطبيب
ومخصّصينه للكبار

٣٣ والقشطة تضرّ الامعا اسمعوا يا ناس هل سمعه يفرح بنهار الجمعه
حتى يقطع الزفر

٣٤ لو بدّي احكي بالتحريف يمضي الشتا مع الصيف وما اخلع عنه توصيف
عن حياته هل معتّر

٣٥ شي هل حاله الحزنيه حكينا جزء من اليه وحياتكم يا فنديه
جعلناها باختصار

٣٦ ونبدي الان عل ماليّة تشوفها كلها مخفيّة ما تنظر منها مصريّة
ولو جبت لها الفين نظار

٣٧ ما يخصم البنك اوراق والصراف اصبح منضاق حال التاجر ما ينطاق
وافلاس الصانع ظهر

٣٨ اغلب الشوام اصحاب فنّ واوربا عليهم ما تحنّ يا ناس دخل في الظنّ
لساسه حرب البلقان

٣٩ حتى صارت طتاعه ورفعت اسعار البضاعه احلفكم يا جماعه
افتكروا بغلا الاسعار

٤٠ غلا فاحش ما بينطاق عموم البضاعه بالاطلاق نقدي من دون كتب اوراق
ولو طلبنا عشر ازرار

٤١ صاحب الاملاك ما يرنّ عل مستأجر ما بيحنّ صار شريك اصحاب الفنّ
قال بالملك نحن احرار

٤٢ هذا عايش يا اخوان عيشة وزير مع سلطان لو عمل كل يوم سيران
ايراد املاكه مسوكر

٤٣ لكن الصانع مسكين كل شغله اصبح بالدين من عطل الوقت يستدين
ويكسر نفسه للتجار

٤٤ يشكي له كل الحاله يكتب عليه كمبياله ويطلب منه كفاله
حتى دينه يتسوكر

٤٥ لمّا يشوف حاله منضاق ما يدفع الاستحقاق بالبروتستو تصير اوراق
وما يعطيه مهلة نهار

٤٦ الصانع يصير مأيوس ما عنده يدفع فلوس تشوفوه دايماً مدعوس
على عيشته يتعسر

٤٧ هل حاله كلها من الحروب يلزمها صبر ايوب حرب البلقان وانكوب
واليونان مع البلغار

٤٨ هل سنه ترخناها وبالسجل قيدناها للمشرق اعطيناها
ليتبه فيها الافكار

٤٩ شوهل تاريخ المنحوس ما صار مثله بحرب الروس يدنا نقيده بالقاموس
مع تاريخ بطرس الاكبر

٥٠ لانه من سنين عديده ما صار سنة فريده نظمنا عليها قصيده
ليقروها بالامصار

٥١ الله يغير معنا الحال فهو القدير المتعال لان العطل معنا طال
صار له خمس سنين كبار

٥٢ هل قصة كتبناها بالدفتر قيدناها وبالجريده طبعناها
والفناها بآذار

٥٣ بسنة الف وتسعمية وتلتّ عشر مسيحية على حساب الغربية
حسابهم مضبوط لا يُنكر

٥٤ كلامي مبني باساس تشهد معي كل الناس ناظمها مسابكي الياس
يطلب من القاري اعذار

٥٥ يطلب عفو من القاري تكلمنا بأي جاري العربية مش كاري
ولا اعرف انظم اشعار

٥٦ ما اعرف عربيه هي اسمها قرادیه عملتها فكاهيه
ليقروها كبار وصغار

٥٧ ليشوفو حالة الشام حالة حزينه تمام هي الخاتمة والسلام
نطلب العفو يا غفار

٥٨ يا ارحم الراحمين بعزتك نستعين افرج عن المظلومين
يا عزيز ويا جبار

٥٩ ربي تراأف بعبادك ان الرأفة عاداتك فارحمنا برحماتك
بجاه وسلك الاطهار

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

١٦ من بمباي الى عدن — البحر الاحمر — رجوعنا الى بيروت

انَّ المسافة بين بمباي وعدن تبلغ نيفاً والفي كيلومتر تقطعها السفن في خمسة ايَّام على الاقلّ . وكانت باخرتنا المسمَّاة سُتلاج (Sutlej) من كبار البواخر حسنة التجهيز محكمة الادوات متقنة المعاهد سريعة السير ناقلة لبريد برنديزي وكان معظم ركابها من الاوربيين ولاسيما وجوه الانكليز على انَّنا وجدنا بينهم بعض تلامذة مدارسنا في الهند فسرَّنا الاجتماع معهم وبسط الحديث في امور تلك الاقطار . وكان احدهم محرّرًا في جريدة بمباي المعروفة بالبشير الكاثوليكيّ (Catholic Examiner) وهي كثيرة الانتشار في انحاء الهند يعدُّونها كلسان حال الكاثوليك في تلك الجهات

وكان سفرنا من اطيب الاسفار لانّ بحار تلك البلاد هي في وقت الشتاء هادية ساكنة على خلاف بحرنا المتوسط . فكانت السماء لا يشوبها غيم ومياه البحر شديدة الزرقة لعمق اغوارها فتسخر سفينتنا المياه ولا تكاد تشعر بحركتها . وكان اذا دخل الليل لاح الفلك مزدانًا ببروج ونجوم لم نعهدها في اقطارنا فكنَّا نرقبها بملْ الشوق امَّا البحر فكان يشعُّ شعاعاً عند اصطدام السفينة بألوف الالوف من صغار الحيَوانات التي تنتشر على وجه المياه فتُرى كانَّها شعلة نار

امَّا البرّ فلا ترى العين له اثرًا مدَّة ثلاثة ايَّام كاملة وهو لعمري منظر يؤثر في الانسان اعظم التأثير اذ يرى نفسهُ في بطن الواح يسيرة بين السماء والماء لا يرى من العالم غير افراد معدودين يخوضون معهُ غمر البحار تحت رحمة خالقهم فتتجلَّى للمسافر عظمة ربّ الكون ويشعر بعدمهِ بازاء مالك ناصيته

ووافق وقوع عيد ميلاد السيد المسيح في اثناء مسيرنا الى عدن . وهو موسم جليل يحتفل بهِ الانكليز احتفالاً باهرًا في اوطانهم ومستعمراتهم ويدعونهُ باسم قديم معناهُ قداس المسيح (Christmas) فاراد رئيس باخرتنا ان لا يُحرِم النوتيُّون وركَّاب السفينة من بهجة ذاك العيد فامر بان تُنشر الرايات وتزان المعاهد العموميَّة مع ظهر السفينة بالاقمشة واكاليل النبات وطاقات الزهور ووُزِّعت المشروبات والحلويات على الجميع

اما نحن فانَّنا فكَّرنا ايضاً في اقامة رتبة دينيَّة في اواسط الليل كما هي عادة الكنيسة اللاتينيَّة فطلبنا من القبطان ان يفرد لنا بعض غرف المركب لنُعدَّها للذبيحة المقدَّسة وان يسمح للنوتيَّة الكاثوليكيين بحضور الحفلة فاجاب المرما اليهِ بكل لطف الى ملتمسنا وارسل الى النوتيَّة يخبرهم بالرخصة الممنوحة لهم . فزيَّنا الغرفة بصور تقويَّة ونضَّدنا الزهور والرياحين ثم نصبنا هيكلنا النقَّال واوقدنا الشمع عند منتصف الليل فباشرنا بالحفلة وكان بعض النوتيين يرتلون الاغاني الروحيَّة وتقرَّب قلَّة منهم . فكان لهذا الاجتماع وقعٌ حسن في قاربهم وهم لم يعتادوه قبلاً على البحر وكان ذاك النهار يوم بهجة وحبور للركَّاب اجمعين تلوح على وجوه الكل امارات الفرح

وعند منتصف النهار من يومنا الرابع رأينا عن شمالنا جزيرة سقطرى المشهورة قديماً باسم ديوسقوريدس . وقد ذكرنا في مقالتنا عن تاريخ النصرانيَّة وآدابها في الجاهليَّة (ج ١ ص ٦٩ و١٤٦) تديُّن اهاليها بدين المسيح ورسالة اليسوعيين فيها . واليوم هي تحت حماية انكلترَّة واهليها اخلاط من الزنج والعرب والهنود يتاجرون بالصبر السقطري والتمر والنيل . وطول هذه الجزيرة نحو ١٣٠ كيلومترًا في عرض ٤٠ ك فيها جبال يبلغ اعلاها ١٤٠٠ متر . والجيولوجيُّون يذهبون الى انها كانت قديماً متَّصلة ببلاد الصومال من اعمال افريقيَّة ففصلتها الزلازل عنها

ثمَّ دخلنا في اليوم الخامس في خليج عدن فكنَّا نشاهد يميناً جبال حضرموت ثمَّ ما يليها من سواحل اليمن وشمالاً نسرِّح الابصار في اطراف افريقية مباشرةً برأس غواردافوي ثم اقطار الصومال وانكالا حتى ارست السفينة قريباً من عدن فنزلنا الى البرّ وقصدنا ان ننتظر فيها يومين او ثلاثة أيام ورود سفينة افرنسيَّة من شركة المساجري تركبها الى سويس ونفقة السفر عليها نصف النفقة على الباخرة الانكليزيَّة

وكان نزولنا في عدن في دير الآباء الكبوشيين الذين اكرموا مثوانا في مدّة اقامتنا عندهم . وكان هناك سيادة المطران لويس لاسارّ (Mgr L. G. Lasserre) النائب الرسولي على رسالة بلاد العرب والصومال فانس بنا وافادنا بما رواهُ لنا عن اعماله واعمال المرسلين الكبوشيين بين الحبشة والكالا اذ كان مع السيّد مسّايا (Mgr Massaja) الذي جعله بعد ذلك الحبر الاعظم لاون الثالث عشر كردينالاً . ثم مع السيّد تورين (Mgr Taurin) خلفهِ وكذلك بيّن لنا احوال رسالة عدن والصومال التي عُهدت الى عنايتهِ سنة ١٨٨٩

وعدن مدينة معتبرة لوقوعها عند مدخل البحار الهنديّة على ممرّ كلّ السفن القادمة من الشرق الاقصى فيأخذون منها حاجتهم من الفحم والماء الشروب . وهي على قسمين قسمٌ فيهِ الفرضة البحريّة (Steamer Point) وما يلحق بها من المستودعات التجاريّة والتحصينات ومقامات القناصل وثكنات الجند ودور الاجانب . وقسم هو في البرّ يبعد عن البحر نحو ساعة ونصف وهناك مدينة عدن الوطنيّة والاسواق وبيوت الاهلين . واهل عدن نحو ٤٠,٠٠٠ معظم تجارتهم البنّ والقطن والغلّات الواردة من انحاء اليمن . ويشتدُّ الحرّ كثيرًا في عدن حتى انَّ بعض الاجانب لا يستطيعون الصبر عليهِ الّا بالاستحمام المتواتر ومنهم من يترل ساعات في احواض الماء ويشتغل كذلك . والماء قليل في عدن واهلها يشربون من الآبار . وكان في قديم الزمان للمدينة صهاريج عاديّة وثيقة كان اصحابها يشربون منها فاستولى عليها الخراب واليوم يصرف الانكليز على ترميمها المبالغ الطائلة ليعود الاهلون الى الاستقاء منها

وكانت عدن سابقاً لسادة من اهل اليمن فاستولى عليها الانكليز سنة ١٨٣٩ وهم يعتبرونها كنقطة مهمّة من مراكزهم لاجل مستعمراتهم الهنديّة وقد حصّنوها تحصيناً واثقاً في وجه كلّ عدوّ يناوئها فلها القلاع الحريزة والمدافع الكبيرة التي تحرس قسمَيها البحري والبرّي مع عدد عديد من الجند فلا يستطيع احد فتحها الّا بعد شقّ النفس . ولهم فسحة واسعة وراءها كما انّهم يملكون منذ سنة ١٨٥٧ في البحر جزيرة تزيد عدن تحصيناً على مسافة ثمانية كيلومترات من سواحل العرب تدعى پاريم (Périm) ويحصّنها ايضاً مضيق باب المندب الواقع في غربيّها بين البحر

الاحمر وخليج عدن فمن هذا ترى انَّ نكتترَّة راسخة القدم في تلك الجهات لن يقوى عليها عدو

امَّا من حيث الدين فالغالب على اهل عدن الاسلام الَّا الاجانب من الفرنج وغيرهم وكانت عدن قبل الاسلام مركزًا لقبائل نصرانيَّة ثبت قوم منها على ايمانهم مدَّة ثمَّ انقطع عنهم ارباب الدين فتضعضعوا ولمَّا كانت السنة ١٨٨٩ فصل الكرسي الرسوليّ رسالة عدن عن رسالة الكَّالا وسلَّمها الى الآباء الكبوشيين والسيد لاسارّ اوَّل نائب رسوليّ عليها

وللمرسلين في عدن محلَّان الواحد عند الفرضة البحريَّة حيث اقنا في ضيافتهم ولهم فيه كنيسة بهيَّة يتردَّد اليها الكاثوليك ولا سيما الجنود الارلنديُّون المرابطون في البلد فيحضرون كلّ يوم احد وعيد الرتب الدينيَّة بكل تخشُّع ونظام ويسمعون الوعظ بالانكليزيَّة ولهم ايضاً مدارس يعلّمون فيها اللغات الاوربيَّة ويهذّبون ناشئة العيال الاوربيَّة التي تسكن عدن ويساعدهم في التعليم الاخوة المريميُّون . امَّا المدينة الوطنيَّة فلهم فيها مقام لليتامى من العرب والصومال ويساعد الآباء الكبوشيين راهبات من اخويَّة الراعي الصالح وغيرهنَّ ايضاً ومدارسهنَّ على قدم النجاح

على انَّ الآباء الكبوشيين لم يكتفوا بعدن بل حاولوا ان يفتحوا لرسالتهم منافذ اخرى ليخدموا الوطنيين ففي سنة ١٨٩١ دخل احدهم الاب يستنيان حُدَيدة حيث يقيم قوم من الاجانب وقنصل فرنسويّ فوجدوا في طريقهم عقبات ذلَّلوها بعد حين حتى صار العرب يتقرَّبون منهم ويثنون على همَّتهم وتفانيهم في مساعدة الفقراء وتعليم الصغار . ومن المرسلين الكبوشيين في حُدَيدة الاب فرنجس عذباء احد طلبة كلّيَّتنا البيروتيَّة كان هناك اذ مررنا في عدن

وفتح احدهم الاب اونجلست سنة ١٨٩٣ رسالة اخرى منوطة بعدن وذلك في العدوى الافريقيَّة الموازية لعدن في بربرة بين الصومال فامتلكوا اراضي واسعة ليشغلوا فيها اليتامى الذين يربّونهم بالفلاحة وهذه الرسالة لا تزال مزهرةً حتى اليوم . ومن اعمال المرسلين هناك انهم اخذوا يدرسون لغة تلك البلاد فصنَّفوا كتباً مفيدة لدرسها منها قاموس صومالي انكليزي وانكليزيّ صومالي وبعض كتب دينيَّة طبعوها في لندن

وقد صرفنا الوقت الباقي لنا في زيارة بعض الذوات كالقنصل الفرنسويّ والحاكم الانكليزي . ثمَّ سرنا الى زيارة مدينة عدن الداخليَّة فسرنا اليها مشياً وقطعنا سهلاً رحباً ثمَّ رقينا الى آكام قليلة الارتفاع الى ان بلغنا الى مضيق بين جبلين يسهل سدُّهُ في وجه العدوّ وهناك طريق منحوت في الصخر ينفذ الى مدينة عدن

فاجتمعنا في البلد ببعض تجار الشام كانوا مقيمين هناك يتاجرون بالبنّ فعرَّفونا ببعض شيوخ المدينة الذين لهم المامٌ بالآداب فرأينا انَّ بضاعتهم زهيدة جدًّا . اما الآثار الادبيَّة فلم نجد منها الَّا اليسير وامكننا مع ذلك ان نحصل على خمسة او ستَّة كتب ادبيَّة مخطوطة

وزرنا هناك ميتًا للآباء الكبوشيين في محلّ يعرف بشيخ عثمان فرأينا من نشاط هؤلاء الاحداث وذكائهم ما سرَّنا . وللراهبات ميتمٌ آخر للبنات . وقد اقام المرسلون هناك كنيسة حسنة لخدمة اولادهم وللجنود الارلنديين الكاثوليك ولبعض العمَّال الفرنسويين المتاجرين مع الاهلين

واهل عدن لفيف من عناصر البشر يختلفون لونًا ولغةً وزيًّا . وكنَّا نرى من المدينة صروحًا عالية كالصروح التي رأيناها في كوراتشي للمجوس ومنهم في عدن قوم ينقلون اليها موتاهم . ويشرف على عدن جبال وصخور كنَّا نرى فيها الجدران العالية فقيل لنا انَّ ذلك سدُّ ملكة سبا فيزعمون انَّها شيدتهُ كخزَّان للمياه لتسقي اراضي عدن في جدبها . وما لا يُنكر انَّ عملها يدلّ على رقيّ بُنَاتها الاقدمين

وكان سفرنا من عدن يوم الاحد الواقع في ٢٩ كانون الاوَّل . وفي صباح ذلك اليوم احتفل المرسلون بقداس خافل جعلوهُ كختام السنة وكانت الكنيسة رافلة بزينة عيد الميلاد فأُقيمت رتبة شائقة ابهجتها الموسيقى العسكريَّة بنغماتها مع اناشيد الجنود الحماسيَّة

وفي عصر النهار طلبنا بركة سيادة النائب الرسولي وشكرنا حضرة الآباء المرسلين فركبنا باخرة المسابجي القادمة من بلاد تونكين على طريق كولومبو حاضرة جزيرة سيلان المعروفة عند قدماء العرب باسم سرنديب . وكان ذلك اليوم شديد الحرارة ونحن في اواخر كانون وكنَّا رأينا في عدن المرسلين الكبوشيين لاحتدام الحرّ

لابسين الصوف الابيض الخفيف وعلى رؤسهم القبعات البيضاء الواقية من وقدات الشمس

فسرنا بامان وقطعنا مضيق باب المندب فنفذنا في بحر القازم المعروف بالاحمر. وكان البحر هادياً في ذلك الفصل على عكس بحر الشام وهو يهيج في فصل الصيف. وقد قطعنا المسافة بين عدن وسويس باربعة ايام . ولم يطل علينا الزمان لأننا كنا نمرّ بين قارتي آسية وافريقية فتتجدّد امامنا المناظر من ساعة الى أخرى فرأينا من جهة العرب جُدَيدة المارّ ذكرها وجاورنا جزيرة پاريم وكنا نرى في سواحل افريقية نواحي الصومال وكان قوم من اهلهم اتوا الى مركبنا قبل سفره فسرّونا بحركاتهم والعابهم وكان البعض من فتيتهم يصعدون الى السواري ثمّ يرمون بنفسهم من اعلاها الى قعر البحر ليلتقطوا دريهمات كان الركّاب يلقونها لهم

وفي الليل كنا نرى المنائر المضيئة التي يرتشد ارباب السفن بانوارها . وقد مرّ لنا وصفها في المشرق (٤ : ١٠٤٣) وقد عرفنا بنورها موقع جيبوتي (Djibouti) وابوك (Obok) اللتين اتخذتهما فرنسا كمستودع فحم لسفنها

ويوم الاثنين مررنا ليس بعيداً عن جدّة وهي فرضة مكّة وبلاد الحجاز وكنا شهدنا قبلها من جهة الشمال بلاد الحبشة وما احتلّهُ منها الايطاليُّون وكانت الحرب عند مرورنا لا تزال قائمةً على ساق بينهم وبين جيوش النجاشي منليك وانتهت بعد ثلاثة اشهر بكسرة الجيوش الطليانيّة وقائدهم باراتياري فاضطرّ الايطاليُّون الى ان يكتفوا بحلول مصوّع وقسم من سواحلها وذاك ما عُرف باسم مستعمرة الاريثره (Erythrée). وذكّرتنا مصوّع باحد مواطنينا الحلبيين المكرّم ابرهيم جرجي الماروني من الرهبانيّة اليسوعيّة الذي مات فيها شهيد الايمان في سنة ١٥٩٥ بعد تبشيره بالدين المسيحيّ في الهند

ويوم الثلثاء توسّطنا في مسيرنا بين تهامة يميناً والنوبة شمالاً . والسفن قلّما تربط في تلك الجهات اللهمّ الّا بعض المراكب الشراعيّة التي تتنقّل على سواحلها المجدبة غير المأهولة . وانّما وراءها من الجهة العربيّة « المدينة المنوّرة » التي فيها قبر نبيّ المسلمين والخلفاء الراشدين

قمنا في صباح اليوم التالي الاربعاء واذا هو رأس سنة جديدة وهي ١٨٩٦

دخلنا فيهـا باليمن والبركة وكان ذلك النهار كاحد ايام الربيع في سوريَّة فتلطَّفت وهّجات الحرّ لتقرُّبنا من بـلاد الشام . فكان اوَّل فكرنا ان نقدّس باكورة ذلك العام بتقدمة الذبيحة المقدّسة لعزّته تعالى ودعونا الى حضورها بعض الركّاب فاجابوا بطيب الخاطر . ثمَّ صرفنا باقي يومنا بالمرح وكانت السفينة في ذلك النهار تجتاز بين سواحل مصر فترى من جهتها الجبال المعروفة بالسلسلة العربيَّة (chaine arabique) وبين خليج عقبة ثمَّ شبه جزيرة سينا . فكانت تلوح لنظرنا تلك الانحاء التي جرت فيها الحوادث العجيبة المسطَّرة في اسفار موسى الكليم . فلدى مشاهدتنا جبل الطور كنَّا نفكر في تجلّي الربّ لشعبه في وسط الرعود والبروق ليُعلن اليهم بوصاياه ثمَّ نتذكَّر مسير بني اسرائيل في تلك القفار مدَّة اربعين سنة والربّ يرعاهم ويقيتهم ويظفرهم من كلّ اعدائهم بالمعجزات الباهرة . وهناك آثار أخرى مسيحيَّة وغيرهـا سبق الى وصفها المشرق (راجع رحلة خليل صبّاغ الى طورسينا ٧ : ٩٥٨ و١٠٠٣ ووصف طورسينا للشمّاس افرام ٩ : ٧٣١ و٧٩٤ ثم وصف معادن جبل الطور القديمة للاب لادسلاس استفانسكي ٩ : ١٠٦١ و١١٢٩)

وفي مساء ذلك النهار احبَّ القبطان ان يبهج النوتيين وعمَّال السفينة بتوزيع بعض الهدايا عليهم وكذلك تبرَّع الركّاب بهبة مالية جمعوها وفرَّقوها عليهم . فشكرهم البحريُّون الذين اجروا على ظهر السفينة عدَّة ألعاب رياضيَّة سُرَّ بها الركّاب وصفَّقوا استحساناً لها مرارًا . وبعد غروب الشمس بلغت الباخرة سويس فارست عندها ساعات حتى منتصف الليل ثمَّ قطعت الترعة فبلغت بنا صباحاً الى بورت سعيد حيث اضافنا حضرة الآباء الفرنسيسيين بما عُهدوا من اللطف فبقينا في ديرهم برهة تسافر احدى السفن الى بيروت امَّا مركب الماجري فواصل مسيرهُ الى مرسيلية

وانتهزنا نحن فرصة مكوثنا في بورت سعيد لتسطير اخبار رحلتنا فنُشرت وقتئذٍ في اللغة الافرنسيَّة في احدى مجلَّات اوربَّا وذلك ما سمح لنا ان نروي تفاصيل هذه الرحلة التي كان فاتنا كثير منها لولا تلك المذكّرة

وكانت اوَّل سفينة امكننا ركوبهـا للرجوع الى بيروت سفينة شركة اللويد النمساوية المسمَّاة امفتريت فركبناها يوم الاربعاء ٨ ك الثاني فاوصلتنا الى بيروت في

صباح الجمعة ١٠ منهُ بعد نوٍّ شديد قابلنا بين هيجانهِ وهـدوّ البحر الهندي والبحر الاحمر

حدّث ولا حرج عما شمل اخوتنا الرهبان في بيروت اذ رأونا رجعنا بالسلام بعدما انقطعت عنهم رسالاتنا مدّةً وانتشرت في حقّنا الروايات المزعجة . وكان يوم عودتنا تمام اربعة اشهر منذ خروجنا من بيروت فابدينا الشكر الجزيل لذاك الذي ارسل ملاكهُ فانقذنا من كلّ الشرور المحدقة بنا لذكرهِ المجد الى ابد الدهور

الحجل اللبناني

لحضرة الاب يوسف الحوري من اساتذة كليتنا

ولى الشتاء وزمهريرهُ . وأقبل الربيع وغريرهُ . فتنفّس الطيرُ الصعداء . وتغرّد بآيات الحمد لبارئهِ الذي نجّاهُ من اعباء الشتاء . فافرجهُ من ضيقتهِ واخرجهُ من وكرهِ ولو رثَّ الإهاب مهزول الجسم شاحبهُ

هاكه بعد بروزه محوّماً فوق المراعي الطيبة وضارباً بجناحيهِ على السهول الخصبة ليعالج هزالهُ ويستبدل ضمورهُ بالسمن فألفتَ اليهِ نظر الصيّاد وأهاب به من خمول الشتاء الى تشمير بارودهِ من الرطوبة وتجهيز بندقيتهِ وجلاّها من صدإ الخباء والتشمير عن ساعده لمطاردة الطير في مجاثمه وملاحقتهِ الى وكناتهِ لانه خُلق لخدمتهِ وسُخّر لافادتهِ ومنفعتهِ

لكل بلاد اطيار تفوق بعضها بعضاً بالحسن والظرف وبالنفع لقوت الناس فاحسن بلادنا طيرًا واطيبهُ لحماً الحجل فاصحاب البيوت يقتنونه والصيّادون يلاحقونه ووعور لبنان وغاباتهُ وحزونهُ وبطاحهُ غاصّة بهِ . واذا لحظنا في اخلاقهِ ما يستحق الذكر ويسلي الخاطر رأينا خدمةً لقراء هذه المجلة العلمية ان نكتب لهم شيئاً عن طبيعة هذا الطير الذي يقتنيهِ الغنيّ في بيتهِ وينهب الصيّاد الارض وراء اقتناصهِ معتمدين في وصفنا العيان والاختبار لا النقل والسمع فنقول :

﴿ وصف الحجل واشكالهُ ﴾ الحجل من فصيلة الدرّاج والكروان والقبج

وربما اطلقوا عليهِ اسماءها وصاحب حياة الحيوان يسميه ايضاً بالسماني والانثى الحجلة والعامة تسميها « السركة » وقت الصيد فقط وهي تصحيف سلكة وهو طائر فوق الحمام قريب من القطا عبل الجسم ململمهُ صغير الرأس احمرُهُ ابتر الذنب مدوَّرهُ قصير الساق مرتفع الجؤجؤ كثير الريش نسبة الى هيكلهِ . والحجل اشكال متحدة طبيعةً مختلفة هيئةً وحجماً منها الاحمر وسميّ كذا لاحمرار ناصع في مخالبهِ وساقيهِ ومنقارهِ وعينه وبعض ريش جناحيهِ ويكثر وجوده في اميركا لاسيما الجنوبية كالبرازيل وكولومبيا وبعض نواحي افريقية والهند واليابان وشوهد منه بقلة في لبنان وسورية والسنجابي وتراه بكثرة في اوربا لاسيما في شمال فرنسة وهو المسمى عندهم « perdrix » . ومنها الرومي او الدمشقي وربما سميّ كذلك او لحق بهِ هذا الاسم لكثرتهِ في بلاد اليونان وجهات الروم ودمشق الشام . ويُرى ايضاً في جهات ارمينية والعجم لا سيما في وعور لبنان وغاباتهِ وقد اقتصرنا في الكلام عليه دون سواه في هذا المقال لانتشاره في بلادنا ولأن الواجب يقضي علينا بوصف القريب دون الغريب فنذكر شيئاً من طبائعهِ وتربيتهِ وتدجينهِ وطرق صيده المتعارفة في بلادنا

﴿ خواصُهُ ﴾ يختلف الحجل الدمشقي او حجل بلادنا عن سواه في بعض الاشكال والالوان ويتفق معهُ طبيعةً فكلُّ ما نورده هنا يصحُّ على الغالب نسبته لبقية الاجناس فهو صغير الرأس رماديّ الريش ارقط الجناح احمر الساقين قويّ المنقار اعكفُهُ قصير الذنب ابترُهُ يغلب عليه الخوف والتحذُّر فلذا لا يحلّق كغيره في الفضاء ولا يجثم على المحالّ المطلقة والاشجار الباسقة بل ينسلُّ بين الادغال ويختفي بين فصائل الباذنجان وخلال الأنفاق والصخور ولا يطيرُ الا محرجاً ولمسافة قريبة غير بعيدٍ من الارض وينفذ في الهواء مسرعاً كأنه بطيرانهِ حجرٌ خرج من المقلاع او سهمٌ زلّ عن القوس ومتى اضطرَّ لمغادرة وكرهِ وربضهِ فلا يبرز دفعةً واحدةً بل يتوقر وينرُدُ مرات متقطعة كأنهُ يجسّ نبض الطريق ليأمن مرور العدو ثمّ يدرج درجاً حتى يبلغ نهايته . ودروج الحجل — والعامة تسميهِ نقلة — يُضرب بهِ المثل بالخفة واللباقة ويشبَّه نقلُ الراقص بهما لان بانضمام المخالب وموازنتها وإسبالها ما يشبه ايقاع الموسيقي واوزانها المطربة

والحجل يؤثر فيه الحرّ فيتقيه فلا تراهُ يخرج لطلب رزقه الّا عند انبثاق الفجر وفي الفيافي والبطاح وعند انتشار الضباب . وقد يمرّ فيما سوى ذلك فوقهُ حجر الصياد فلا يُثيره من خبائه مع ان قوّة الشعور فيه متوفّرة وبالغة حدّها وكما ان الحرّ يضيمه كذلك القرّ يعمل في جسمه فتى غشى الثلج جوانبهُ يهبطُ السواحل والبقاع ويستمرُّ فيها الى ان يطيب الهواء ويزول الثلج . ثمّ انّ الريح حتى الخفيفة تحدو به الى الاعتزال والاحتجاب فلا يطلبُ فيها طعاماً ولا يلتمس قوتاً ويستكف من الشتاء لشدة وقعه عليه فيضمر جسمه ويرثُّ لباسهُ ويتناثر ريشه . ومن طباعه انهُ بذويه فلا يعيش الّا مع اسراب من جماعته وقلما رأى الصيادون حجلًا طريدًا في غير ايّام السفاد ويسمونها « ايام الفقاد » وهي في عرفهم الزمان الذي يطلب فيه الذكر انثاهُ للازدواج ويشترك كلاهما بتهيئة عشهما وهذه الاسراب يسمّيها الصيادون رفوفاً تتألف غالباً من الذكور ولا دخل للاناث بها والحجل لا يبيت في مكان بات فيه سابقاً بل في جواره لئلّا يهتدي اليه العدوّ ومتى اخلى مكاناً محرجاً لا يعود اليه في مستقبل الايام

ويعيش الحجل الى السنة الخامسة عشرة ويزعم البعض انّ سني عمره على قدر عدد بيض انثاه وعلامة المعمّر تصلّب لحمه واعصابه وارتخاء عضلاته وتضخّم ساقيه وسوادهما . ويتميّزُ الذكر عن الانثى بكبر رأسه وضخامة ساقيه وهنةٍ على رأس مؤخر مخالبه تكبر وتصلب مع الايام ولحمه من اطيب اللحوم وألذّها والصيادون يولون عليه . ويخاصم الثعلبُ الحجل فيُلجئهُ الى مخالفة طبيعته والجثوم على الاشجار تخلّصاً من اذاه وربما وقع امامه من الخوف منجدلًا وهو يلحقه

﴿ طعامه ﴾ تضرب النأمة المثل بمعدة الحجل فتقول لصاحب البطنة : معدتهُ تقطع الصوّان ولسانه كمنقار الحجل تكسر الحجارة . وربما بولغ اكثر من ذلك لان الحجل لا يعفو عن شيء فياكل ما يقدّمُ لهُ بلا تحذر الّا انه يلتذ بالنبات فاذا قدّمت له قرةٌ وبُرٌّ الا يمسُّ الثاني قبل ان يأتي على الاول وفي ايام الحصاد يدمق على السهول فيتلف الاغمار وعلى المكادس فينبرها نبرًا ويطارد الهوامّ والحشرات فيبتلعها وهي طائرة وينحدر على الكروم فياكل عناقيدها . وهو من اصبر الطيور على العطش حتى قيل انهُ لا يشرب بحياته ماء والصيادون يقطعون الماء عن الداجن

لاعتقادهم بان الماء يجعلهُ غير صالح للصيد على المنصة في ايام السفاد ذكرًا كان او انثى

﴿ تعشيشهُ ﴾ عجيب هذا الطير في اطواره وغيرته فألفتهُ المعهودة تتحوّل في اوائل اذار الى خصام شديد وعراك قويّ ونفور زائد فقلما ترى ذكرًا يقرب الاخر وقلّما تتابلا الّا تصارعا وتضاربا حتى انه يسمع صوت القتال عن بعد فالضعيف يختفي والقويّ ينفض الخوف ويبرز كالكاسر كلّ ذلك ناتج عن الغيرة والتسابق الى الاناث. فاذا سمع الذكر صوت الحجلة حنّ على غير مألوف عادته في الفضاء يفتّش على مقرّها

وذكر صيّاد امامي مرةً انه شاهد اربعة حجال يختصمون على انثى اثنان اثنان وثلاثة واربعة حتى تفانوا الّا واحدًا خرج من هذه المعمعة مهشّماً مجرّحاً. وتستمرُّ هذه الحرب السجال شهرًا وربّما طالت حتى يزول الملول ويجتمع كلّ ذكر بانثى فينفرد بها ولا يفارقها غيرة وخوفاً فينضّد معها قشّ العش ثم تبدأ بالبيض وربما باضت من غير ذكر لكنّ ذاك البيض لا يصلح للحضونة فيفسد ولا ينتفُ (يمردر) ويبلغ بيضها الى العشرين وقلّما شوهد اكثر من ذلك وبعض الاناث تبيض الموسم غب الموسم ومنها السنة تلو الاخرى وعلى قول البعض ان البيض يقلّ كل سنة واحدة وهكذا الى النهاية وهذا مما يزيد زعم القائلين بان الحجل يعيش على عدد بيضهِ

ووجد الصيّادون في العش بيضاً صغيرًا ما برحوا الى الآن في لبنان يظنونهُ من وضع الحجل وهو بالحقيقة بيض انثى لم يكن منها الذكر تماماً

ثم ترخم الانثى على بيضها مدة عشرين يوماً على الاكثر ويقيم الحجل بجانبها وربّما تركها وقت الحضانة واستقلّت هي بعملها . والدميري في كتاب حياة الحيوان يزعم ان الذكر يشارك الانثى بالحضانة فيرخم على البيض الذي داخله ذكر فقط . وغيره يقول انه يرخم عليهِ متى ذهبت انثاه لطلب رزقها والله اعلم

وجرّب بعض الصيّادين فاطاق في مكان منفرد ذكرًا وانثى داجنين فعشّشا واستقلّت الانثى بالحضانة ولم يكن الذكر يقترب منها ولا يمسّ بيضها او يعاونها في اعالة صغارها مع انه كان دائمًا معها في عشّ واحد

والذي يرى من هيئة العش ان الحجل لا يتأنّق كبقية الطيور بصنيع عشهِ

وحبكه حبكاً يضمن تماسكه فيكتفي بتنضيد ما يجمعهُ من القش اليابس بجانب بعضهِ حتى اذا اصابته ريح نثرته في كل مكان

﴿ بروز الفرخ ﴾ متى دبَّت في الفرخ ضمن البيضة نسمةُ الحياة تشعر امهُ بقوة طبيعتها فتتقب عقب البيضة بمنقادها فيظهر رأس الفرخ ثم تأخذ بتوسيعهِ ووبيدًا الى ان تتفرج القشرة ويصبح قادرًا على الخروج بذاته فيخرج واذا مات احد صغارها تحمله بمنقادها سرًّا وتقذف به بعيدًا عن العش لئلَّا يتأذَّى من رائحته البقية . والمقول ان الذكر يأتي بعد تلك الغيبة الطويلة وبمنقاده طعام يزقُّهُ للفراخ ويتولى بالمناوبة مع الانثى اعالة الصغار الى ان يقووا على الحركة فيلحقون والدتهم كما يلحق القوب الدجاجة

وصغار الحجل تخرج من البيضة مرتاشة كلها بخلاف بقية الطيور البرّية فيظهر عليها الزغب تدريجاً والحجل يحفظ فطرته الطبيعية وان تسلطت عليه عوامل اخرى . جرَّب بعضهم والقى تحت دجاجة (قرقة) بيض حجل ففقس البيض في وقتهِ وخرج منه الفرخ وكانت الدجاجة تعامله كصغارها فتزقُّه وتضمُّهُ تحت جناحيها وهو يتبعها كبقية الفراريج اينما ذهبت وايَّان حلَّت وهو يغرّد ويقرقر كصغار الحجل . ولمَّا كبر خاصمهُ الفراخ حتى الدجاجة فاضطرَّ صاحبه ان يفصلهُ ويعتني به وكان بالحجم على قدر نصف البريّ

﴿ تدجينهُ ﴾ يستمرّ الفرخ في العش حتى ينشط فحينئذٍ على الاصح تستقل الانثى بامر الاهتمام به وتعوّده على الطيران فتخرج به بميقات خروجها مقرقرةً امامهُ وهو يتبعها كما يتبع القوبُ الدجاجة ويتَّفق حينئذٍ مرور الصيادين او الرُّعاة فيدركونهُ والوالدة تُظهر حينئذٍ من الشجاعة ما يحيِّر العقل فقد تهجم وهي طائرة على الصيَّاد وتضربهُ بمنقادها وجناحيها وتدور حوله مشيرة بتصويتها الى صغارها ومنذرة اياهم بالخطر والصيَّاد يتركها وشأنها في تلك الحالة شفقةً على صغارها . ومتى حصل الصيَّاد على عددٍ من الفراخ يضمها في قفص من يقطين على شكل ابريق الفخار ويعتني بها ويحافظ على تدفئتها لاسيما في الليل ويقدم لها طعاماً من « القبابيط » وصغار البيض وحبوب الذُّب ولبّ الخيار والقثاء ويحاذر لمسها بالاكف لانَّ ذلك يميتها ويتوفَّر بالعناية بها حتى تبلغ « التربيقة الصحيحة » وهي في عرف الصيادين تريُّش الحجل

برشهِ الحقيقي الذي يُعرفُ به وبروز العلامات في الرأس المميّزة للذكر عن الانثى وتغير الصوت من الصفير الى التغريد (التكلم) ويقاسي الحجل في هذه التربية من الاوجاع والالام اشكالاً والواناً وقد لا يقوى ولاسيما اذا كان يُدجَّن على مقاساة الآلام فيموت

ومتى ربي الفرخ في البيت صغيراً ألفه وما زال به كالدجاج لا يفارقهُ ويقترب من الناس بغير حذر ويصعد عليهم مصوّتاً تصويتاً لطيفاً وقد رأيت بعضاً من الصيادين يطلقونه وشأنهُ فيسرح في البرية ويعود كالحمام الى قفصه بخلاف المأخوذ كبيراً امّا عن الشرك او عن سواه فيظل بريّاً لا يتصيَّد واذا اطلقتهُ ذهب دون امل الى رجوعهِ والعيال السورية لاسيما اللبنانية تقتني الحجال في بيوتها إعجاباً بمنظرها وتيمُّناً بصورتها واعتقاداً بان الخير معقود برجوعها . ويباع الحجل الداجن بريالين في سورية وقد يبلغ ثمنهُ ستة ريالات متى كان ماهراً في الصيد ومدرَّباً عليهِ

﴿ طرق صيده ﴾ قد تفنَّن الصيَّادون في سورية وذهبوا في صيد الحجل طرقاً ومذاهب شتى لأن فيه من اللباقة والتمرُّن على الرماية ما يدهش ويجدي الثناء على اصحابهِ فالذي يرمي حجلاً طائراً يحقّ له ان يحصى في عداد مهرة الصيادين

فان اراد الصيَّادون الخروج الى صيد الحجل دعا بعضهم بعضاً فيذهبون بكلابهم السلوقيَّة الى « المَحجة » صاخبين حادين كانهم بهرجان الى ان يقتربوا منها فيستترون وينبثُّون فرقاً فرقاً تتقدمهم كلابهم فتهتدي هذه بقوة الشمّ الى مكمن الحجل وتشيره فيصوّبون عليه بنادقهم فمن اصاب الهدف يصخبون له استحساناً واعجاباً ويتقدمُ الكلب من الحجل المقتول ويحمله بفمهِ ويناوله لصاحبه . والحجل الذي يثار بيوم كهذا وينجو من الصياد يخلي مكانه حالاً ويقلّ ظهوره وتغريده ويكثر حذرهُ وربَّما مات من الخوف

ويُصاد الحجل بالشرك ايضاً وشركهُ على مثال الشبكة يطرحه الصيَّاد في سهل مقصدهِ للحجال وينرس اطنابهُ جيداً وينثر في كل جهاتهِ حبوب القمح فياتي الحجل لالتقاطها فتعلق رجلاه فيها وينتشب ساقاهُ وكلما حاول التملص اشتدَّ عليه الضغط فيقع كالمذبوح واقصاً . وهذه الطريقة كان يستعملها القدماء في بلادنا قبل ظهور السلاح السريع الطلق وقد بطلت الان وندر استعمالها

وربّما تصيّدوا «بالمطعمة» وذلك انهم يخطّون في التراب في وطإ محجلة خطاً فقياً ويجلسونهُ على شكل ميزاب القرميد ويعلاون باطنهُ براً وينثرون على ظاهره تبناً وقمحاً فيشاهده القبج ويهبط اسراباً اسراباً بصياح وتصويت وينبره نبراً فيستأنف الصياد إجلاسه مرات ليتعوّد الحجل عليه ويقيم بمجربة منه قترةً ينطيها بالاوراق والاغصان وفي القترة كوّة صغيرة تقابل الثلم فيختفي فيها ممتنعاً عن كل حركة ومدخلاً فوهة بندقيته بالكوة لجهة الثلم فاذا انحدرت الحجال اصطفت حول الثلم كالعسكر او كالنادبات حول الميت فيفرغ عليها بندقيته فيقع ما يقع . والصيادون المهرة يستنكرون هذه الطريقة واذا مرّوا بمطعمة حوّموا حولها كي يبتعد عنها الحجل وخاصموا صانعها لخلوها من لذة الصيد ولقضائها على الأقباج مرّة واحدة

وفي اوائل تشرين الاول تترك الانثى صغارها وتقيم مع غيرها من الاناث وكذا الذكور الى ان يأتي زمن السفاد فيبدأ عهد الخصام ويستأنف زمن النيرة كرّته فتتناثر عقود الاسراب ويخفت الضعيف مستكنّاً ويظهر القويُّ كاسراً . والحجل في ذاك الوقت يفقد كل شعور ويطرح عنه كل خوف وتحذّر فتقترب منه ولا يجفل وتكاد تلمسهُ ولا يطير فاذا كان للصياد حجل داجنٌ حمله الى محجلة ونصبهُ على اريكة واستتر بجانبه وهيّجه للتغريد بصفيره فيبدأ بالمخاتلة والمراوغة فاذا سمعه بريّ انقضّ عليه كالباز على العصفور ليقتلهُ غيرةً وانتقاماً فيبادره الصياد بناره ويهلكه وذكر لي صيادٌ مرةً انه نصب حجلَهُ مرّةً وكان ضعيفاً فجاء اليه بريّ تدلّ ملامحه على تنادم عهده وقوّته وجثم على القفص يعارك الداجن من داخل والصياد لا يجسر على اطلاق النار مخافة اهلاك حجله ايضاً فقام اليه ولم يهرب حتى اقترب منه وصار يلمسهُ وربما جاءت الانثى ايضاً الى الحجل

قلنا انَّ العامّة يدعون انثى الحجل «سركة» وهي تصحيف سلكة ويطلقون عليها هذا الاسم وقت الصيد فقط اذ يتّخذونها لاصطياد الحجل البرّي . وذلك من اهم الدروس في معرفة اطوار وطبائع الحيوانات ففيه تظهر سنة الله منجليةً بكل معانيها ورسومها وفيه يُرى كلُّ ما خلق في الجوّ ودبّ على الارض اكثر حرصاً واشدّ تمسّكاً من الانسان بنواميس باريّ الوجود ويصاد عليها في ايام السفاد . وطريقة الصيد عليها كما على الذكر فاذا كانت هذه لبقة ماهرة استجلبت اليها كل من سمعها

من الذكور وجلتهم يتعاركون امامها ويتقاتلون فياخذهم الصياد بناره غنيمة باردة والصيادون يطمسون سركاتهم الثوم قبل اجلاسها على المنصة تهييجاً لها والحجل الداجن قد يخرس وهو على المنصة ولا يتكلم متى سمع آخر اشدّ منهُ بأساً وقوة وقد روى لي صيادو بلادنا ما اذكره بكل تحفظ قالوا ان لطيران الحجل وهبوطهِ المطمئن ونزاله لمثله رعدةً تُرعد الصيّاد كما يرعد صاحب الحمّى فتمنعهُ من الضغط على ديك البندقية ويعبرون عنها بلفظة « طرد » فسبحان الخالق الذي خصَّ كل طير بأخلاقٍ يصون بها جنسهُ وتمنع الانسان ملكهُ من ان يستبدَّ بهِ ويفني نسلهُ

فهذه خلاصة ما عاينّاه في حجل بلادنا فلعلَّهُ يقع لدى القرّاء موقع الاستحسان ويزيدهم شكرًا لبارئ الكون فيخدمون بنشاط ذاك الذي سخَّر لخدمتهم طيور السماء وحيتان الماء

البرهان الصريح
في أثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

سبب نكران اليهود ليسوع المسيح

وكأني اسمع هنا اعتراض المخالفين فيقولون : ان كان الامر كما تقول عن انتظار كلّ الشعوب لمجيء المسيح وعن سبق النبوّات في تعريف زمنهِ ومكانهِ وكلّ تفاصيل حياتهِ من مولدهِ الى صعودهِ الى السماء أفما كان الاولى بالأمّة اليهوديَّة ان تتقدَّم في معرفتهِ على كلّ من سواها وفي يدها تلك الاسفار المدوَّنة في كلّ سطر من سطورها النبوّات المصرّحة بهِ . فان كان الامر على خلاف ذلك واليهود ينكرون كونهُ المسيح الموعود فضلًا عن انكارهم للاهوتهِ أفليس هذا برهاناً جليًّا على انَّ شروحنا لكلام الانبياء مبنيَّة على اوهام باطلة لاسند لها في واقع الامر

نقول انَّ هذا الاعتراض اقوى حجَّة لدى الخصوم يتشبَّثون بها لردّ البيّنات التي

اوردناها من تقليد الشعوب ومن نبوّات العهد القديم ومن ثمّ لا بُدّ من تفنيدها قبل ان نواصل كلامنا في اثبات الوهيّة المسيح فنجيب: (اوّلًا) انّهُ من الامور المقرّرة تاريخيًّا في اعمال يوسيفوس اليهوديّ وفي كتب اليهود القديمة الراقية الى عهد يسوع المسيح انّ بني اسرائيل كانوا في بدْ تاريخ النصرانيّة يراقبون بفروغ الصبر من يوم الى آخر مجيءْ مسيحهم . ولذلك ترى رؤساء الكهنة والكتبة يرسلون الى يوحنّا المعمدان يسألونهُ أهو المسيح المنتظر وان كان ليس هو بهِ فما بالهُ يعمّد كأنّهُ المسيح (متى ٣:١١ ولوقا ٣:١٥ و٧:١٨ يوحنّا ١:١٩—٢٦) وكذلك يلقون السؤال عينهُ على يسوع (يو ١٠:٢٤). وكان قبل ذلك قد استفتاهم هيرودس عند قدوم المجوس الى اورشليم عن مكان مولد المسيح (متى ٢:٤—٥) فلم يتردّدوا في جوابهم بل أَتَوْا للحال بنبوّة ميخا (٢:٥) المصرّحة بميلادهِ في بيت لحم أفراتة. كما انّهم لم يرتابوا في الجواب لما سألهم الربّ عن المسيح ابن مَنْ هو فقالوا لوقتهم: انهُ ابن داود (متى ٢٢ :٤٢ —٤٣)

(ثانيًا) ويظهر انتظارهم لمجيءْ المسيح في ذاك العهد من شواهد أخرى لا سيما اخبار الصالحين من اليهود كزكريّا البارّ والد يوحنا المعمدان الذي «بارك الله لافتقادهِ شعبهُ واقامتهِ لهُ قرن خلاص من بيت داود ... يسبق ابنُهُ يوحنا امام وجههِ» (لوقا ١:٦٤—٧٦). وكسمعان الشيخ الصدّيق «المنتظر تعزية اسرائيل الذي أوحي اليه بالروح انّهُ لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الربّ» فطلب من الله اذ رآهُ وحملهُ على ذراعيهِ «ان يُطلق عبدهُ بسلام لأنّ عينَيهِ ابصرتا خلاصهُ المعدّ امام وجه الشعوب» (لو ٢:٢٥—٣١) . وكحنّة ابنة فنوئيل التي لمّا رأت يسوع الصبيّ «اعترفت للربّ وحدّثت عنهُ كلّ من كان ينتظر فداء اسرائيل» (٣٦—٣٨). ومثلهم اندراوس تلميذ يوحنّا المعمدان الذي ارشدهُ معلّمهُ الى يسوع فبشّر اخاهُ سمعان بانّهُ «وجد ماشيح الذي تأويلهُ المسيح» (يو ١:٤١)

(ثالثًا) بل يلوح الامر من تسرُّع اليهود في ذاك الوقت الى اتّباع كلّ من كان يأتيهم مدّعيًا بانهُ المسيح كتاوداس ويهوذا الجليليّ كما ذكر غمليئيل في سفر الاعمال (٥:٣٦—٣٧) ويوسيفوس في العاديّات. وكيوناثان القيرواني (يوسيفوس حرب اليهود ك ٧ ف ٣٧) وكبركوزبا وبركوكبا وغيرهم. وقد قرّفهم بذلك السيّد

المسيح حيث قال لهم (يو ٥: ٤٣) : انا اتيتُ باسم أبي فلم تقبلوني وان أتاكم آخر باسم نفسهِ تقبلونهُ » . بل سبق وحذَّرهم من المدَّعين زوراً بانهم مسحاء حيث قال (متى ٢٤: ٥) : «انَّ كثيرين سيأتون باسمي قائلينَ أنا المسيح ويضلُّون كثيرين »

(رابعاً) ولنا في اهل السامرة المجاورين لليهود والمعتقدين باسفار موسى ما يؤيد هذه الشواهد في انتظار بني اسرائيل لقرب مجيء المسيح وذلك في ما رواهُ يوحنَّا (٤: ٢٤) عن السامريَّة التي لقيَها يسوع عند بئر يعقوب فقالت لهُ : « قد علمتُ انَّ ماشيح الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكلِّ شيء » .

(خامساً) وما قولنا بارتداد اليهود الابرار الذي عرفوا الحقَّ وقبلوا تعاليم السيِّد المسيح وآمنوا بهِ . منهم في مدَّة حياة السيِّد المسيح كالرسل والتلاميذ السبعين والنساء الصالحات وغيرهم الذين بلغ عددهم خمسمائة في بعض ظهورات السيِّد المسيح من بعد قيامتهِ (١ كور ١٥: ٦) ومنهم بعد صعودهِ كالثلاثة الآلاف الذين عمَّدهم الرسل في اورشليم يوم حلول الروح القدس (اعمال ٢: ٢١) فتبعهم خمسة آلاف مرَّة أخرى (٤: ٤) وغيرهم ايضاً حتى اخذه المؤمنون بالرب في الازدياد جماعات من الرجال والنساء (أع ٥: ١٤) . وهؤلاء اليهود المؤمنون لم يكونوا فقط في اورشليم بل في مدن اخرى ايضاً كدمشق (اع ٩: ٢ و ٢٥) ويافا (١٠: ٥) وانطاكية (١١: ١٩) بل في كلِّ اليهوديَّة والجليل (٩: ٣١) وسواحل آسية الصغرى (١٤: ١ الخ) هذا فضلاً عن السامريين (٨: ١٤ و ٩: ٣١) والامم (١٠: ٤٨ الخ)

(سادساً) وكما انَّ كلَّ هؤلاء اليهود المتنصِّرين آمنوا بيسوع واعتقدوا انَّهُ هو ابنُ الله الحيِّ كذلك قد ورد في تآليف الربَّانيين ما هو كافٍ ليفحمهم ويثبت انَّ المسيح المنتظر صدقت خواصُّهُ في يسوع وحدهُ . فمن ذلك قولهم انَّ حالة اليهود عند مجيء المسيح تكون حرجةً كثيرة الشدائد كما ورد في كتابهم المثنى (Mischna, *Sota*, IX, 15) وفي كتاب عزرا الرابع (٦: ٢٤) وغيرهما ايضاً . وذلك ما تحقَّق في الامَّة اليهوديَّة اذ انقطعت سلالة ملوكها الشرعيين وصار الصولجان في يد هيرودس الادوميِّ واخذت الدولة الرومانيَّة بالضغط عليهم حتى نُصب النِّسر الرومانيُّ فوق هيكلهم وقامت في جانبهِ رجاسة الخراب كما قال دانيال .

ومنها قولهم انَّ ايليا سوف يظهر عند مجيء المسيح قالوا ذلك في فصول من

كتاب التلمود (Baba mezia. I, 8 و Eduioth, VIII.7) لكنّهم اخذوا المجاز بدلًا من الحقيقة لأنّهم ظنّوا ان السابق الموعود ليمدّ طريق الربّ في ملاخي (٣:١) وفي اشعيا (٤٠:٣—٥) هو ايليًا بشخصه والصواب انهُ ليس ايليا بالذات بل يوحنّا المعمدان الذي جاء بروح ايليًا كما قال الملاك جبرائيل لابيه زكريًا (لوقا ١: ١٧) انّهُ يتقدّم وجه المسيح «بروح ايليًا وقوّته». وعنهُ قال المسيح (متى ١١: ١٠ و١٤) «هذا هو الذي كُتب عنهُ هاءنذا مُرسل ملاكي امام وجهك يهيئ طريقك قدّامك ... وان اردتم أنْ تقبلوا فهو ايليا المزمع أن يأتي»

ومنها ايضاً تكريرهم في كتبهم بأن المسيح سوف ينتصر على اعداء اسرائيل ويملك الى الابد. وهذا قد ورد مرارًا في كتاب مزامير سليمان (المزمور ١٧: ٢٤ —٤١ وفي جملة اقوال الفيلسوف اليهودي فيلون كما في كتابه الثواب والعقاب (ع ١٦) وتكرّر في المثنى في كتاب بركوث (ف ١ ع ٥) وفي كلّها كلام صريح عن ظفر المسيح باعدائهِ وملكهِ المتداوم. ومثلهُ قول الملاك جبرائيل لمريم العذراء (لوقا ١: ٣٢ — ٣٣) عن المولود منها: «انّ الربّ الاله يعطيهِ عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء». على انّ اليهود اذ كانوا شعباً لحسيًا لا يفكّرون الّا في حطام الدنيا والملك الزمنيّ كانوا يفسّرون كلّ آيات الكتاب المقدّس عن انتصارات زمنيّة فيتخيّلون المسيح كفاتح يزحف بجيوشهِ الجرّارة الى اقاصي البلاد ويذلّل كلّ الدول ليوطّد ملك اسرائيل. وذهلوا عن رقّ عبوديّة أخرى اشدّ واقسى من عبوديّة المصريّين التي كانت سحقت الجنس البشريّ وجعلتهُ في حوزة العدوّ الجهنمي ولذلك لم يمكنهم ان يتبصّروا قول المسيح بانّهُ سيتألّم ويُجلَد ويُصلَب ويموت وبموتهِ يغلب اركون العالم ومن ثمّ كانوا اذا سمعوهُ يتنبّأ عن موتهِ يقولون لهُ (يو ١٢: ٣٤): «قد سمعنا من الناموس ان المسيح يدوم الى الابد فكيف تقول انت انهُ ينبغي ان يرتفع ابن البشر؟». ومع انّ كلام الانبياء في آلام المسيح اضوأ من الشمس كما اثبتنا ذلك كانوا يريدونهُ ظافرًا ممجّدًا امام الناس كسليمان وداود بل اكبر منهما. على انّ بعضهم اقرّوا بان المسيح ينبغي لهُ ان يتألّم على حسب منطوق الانبياء. منهم الربّاني تريفون (Tryphon) في جدالهِ مع القديس يوستينوس الفيلسوف (Justin, *contra Tryphon*. 89,90)

وكما تصوَّر اليهود المسيح سلطاناً معظماً تعنو لهُ كلّ ملوك الارض كذلك حملوا كلام الانبياء عن مجد اورشليم الروحيّ على معناهُ الحرفيّ فظنُّوا ان المسيح سيحوّل مدينتهم الى كرسيّ ممالك العالم والى حاضرةٍ غايةً في الرونق والبهاء تقصدها كلّ الشعوب وتتذهل من عظمتها وجمالها وسيعود العصر الذهبي الى الارض . مع ان اورشليم خربت بعد ذلك بزمن قليل ولم يُبقِ فيها اعداؤها حجرًا على حجر كما تنبَّأ عنها المخلص (لوقا ١٩ : ٤١) وذهب معظم اهلها سبياً وقتلًا

(سابعاً) ومن عجيب امر اليهود انهم اذ كانوا غائصين في هذه الافكار العالميَّة لا يرون لمجد المسيح غير الجاه الزمنيّ فاتهم بأنَّ النبوّات كانت تثبت كون المسيح إلهًا وابن إله وقد نقلنا بعض آياتهم في ذلك . والسيّد المسيح في الانجيل المقدَّس اضطرَّهم غير مرَّة بان يقبلوا آيات الانبياء المثبتة لاهوتهُ كما فعل اذ سألهم عن المسيح ابن من هو فقالوا: ابن داود. فاردف قائلًا (متى ٢٢ : ٤٣-٤٦) : فكيف يدعوهُ داود بالروح ربَّهُ حيث يقول : « قال الربّ لربّي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك . فان كان داود يدعوهُ ربًّا فكيف يكون هو ابنهُ . فلم يستطع احدٌ ان يجيبهُ بكلمةٍ »

(ثامناً) لا بل لو كان اليهود منصفين لوجدوا ليس فقط في الاسفار المقدَّسة شواهد واضحة عن لاهوت السيّد المسيح ولكن في كتب احبارهم ايضاً وخصوصاً في شروحهم على الاسفار المنزلة . وهم يؤكّدون مثل النصارى انَّ النبوّات يدور معظمها على المسيح الآتي. هكذا قال ربّي يوناتان بن عزئيل وربّي أبّان في الترجوم الكلداني عند شرحهما لقول زكريَّا النبيّ (٩ : ٩) : « يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتيك صدّيقاً » ولقول اشعيا النبي (٢٥ : ٩) : « يقال في ذلك اليوم هوذا الهنا الذي انتظرناهُ وهو يخلّصنا ... فنبتهج ونفرح بهِ » ولقول سفر نشيد الانشاد (١ : ٣) : « اجذبني وراءكَ ... فنبتهج بكَ ونفرح ذاكرين حبَّكَ » فيصرّح الشارحان بان هذا الملك الآتي « هو المسيح وانَّ بهِ يتمّ فرح اورشليم لانَّ إله اسرائيل يسكن عيانًا على جبل صهيون ليس بمبعوثيهِ الانبياء فقط بل بشخصهِ الكريم »

وكذلك يفسّر الربّانيُّون قول اشعيا (٣٠ : ٢٩) : « ولا يتوارى معلّمكَ من بعد بل تكون عيناك تريان معلّمك » قال ربّي يوناتان : انَّهُ يريد المسيح

فيقول لاسرائيل : « انَّ عينيك تريان لاهوتهُ » وكذا شرحهُ ربّي صموئيل بن يحيي وصاحب كتاب السفر (١ فقالا : « اذا جاء المسيح ترى عيناك يا اسرائيل ايها العهد العتيد ويُصبح الله القدوس المبارك مُعلمكَ وجهاً بوجه ولا يردّ وجههُ عنكَ »

وقال صاحب مدرش كوهلت في شرحهِ سفر الجامعة : « اذا جاء المسيح يثبت الله القدُّوس عرشهُ بين الابرار ويظهر لهم كلمة حكمتهِ المحجوبة منهم سابقاً فيرحبها من فيهِ الى معلميهم »

وكذلك صاحب مدرش تهيليم في شرحهِ على آية النبيّ باروك (٣ : ٣٨) « وبعد ذلك تراءى على الارض وتردَّد بين البشر » يقول انّ هذا يتم في عهد المسيح « لانَّ الربّ الاله القدُّوس المبارك سوف يجعل سكناهُ بين الصالحين فيشيرون اليهِ باصبعهم قائلين مع صاحب المزامير : هوذا إلهنا »

واجلى من ذلك قول ربّي هدرشان في شرحهِ على سفر التكوين (٢ « ان اسم الله الكريم « يَهوَه » المذكور هنا انّما هو اسم الملك المسيح » . وهذا القول عجيب في بابهِ لانَّ الربّانيين يعظّمون اسم « يهوه » الى حدّ انهم لا يجسرون على لفظهِ ويبدلونهُ باسم « ادوني » اي « ربّ »

ومثلهُ وضوحاً قول صاحب مدرش تهيليم (٣ في شرحهِ لآية ارميا النبيّ (٢٣ : ٦) « وهذا اسمهُ الذي يُدعى بهِ الربّ (يهوه) برُّنا » قال : « يتّضح من هذه الآية انَّ الله العظيم قد اعطى اسمهُ الكريم « يهوه » للمسيح .. لانَّ كلام ارميا هنا انّما هو عن الملك المسيح »

فترى انَّهُ لا عذر لليهود في جحودهم ليسوع المسيح ولمّا نسبوا اليهِ التجديف لانَّهُ قال امام قيافا بانهُ ابن الله الحيّ هم الذين كفروا وجدّفوا على الله وصمّوا آذانهم وصلّبوا قلوبهم على اقوال الانبياء والربّانيين مفسري آياتهم

(ثامناً) ثمَّ لا بُدَّ ايضاً من القول بانَّ الانبياء كما تنبّأوا على حياة المسيح واعمالهِ ولاهوتهِ كذلك سبقوا واشاروا الى تفني الله لشعب اسرائيل ورَذْلهِ كما جاء في نبوّة دانيال (٩ : ٢٥) : « يُقتَل المسيح والشعب الذي ينكرهُ لا يكون

---

١) راجع كتاب غلاتينوس (Galatinus) (ص ١٨١–١٨٤)

٢) في كتاب غلاتينوس المذكور ص ١٢٦ ٣) فيهِ ص ١٢٩

لهُ » . ومثلهُ قول ملاخي (١ : ١٠) لشعب اسرائيل ينذرهم باللعنة ويبركة الامم بدلًا منهم : « انّي لا مسرّة لي بكم قال ربُّ الجنود ولا ارضى تقدمةً من ايديكم لانهُ من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كلّ مكان تُقدَّم وتقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة لانَّ لسمي عظيم في الامم قال ربُّ الجنود اما انتم فدنَّستموهُ » . وآيات كثيرة مثل هذه تراها في اسفار الانبياء.

وكما أنذر اولئك الانبياء بني اسرائيل باللعنة والنفي كذلك السيّد المسيح كرَّر الامر عينهُ مرارًا باقوالهِ وامثالهِ . فمن ذلك قولهُ تعالى للفريسيين والشيوخ ورؤساء الكهنة (متى ٢١ : ٤٢—٤٤) : « اما قرأتم قطّ في الكتب انَّ الحجر الذي رذلهُ البنَّاؤون هو صار رأسَ الزاوية . من عند الربّ كان ذلك وهو عجيب في اعيننا ولذلك اقول لكم انَّ ملكوت الله يُنتزع منكم ويعطى لأُمَّة تصنع ثمرهُ ومن سقط على هذا الحجر يتهشَّم ومن سقط هو عليه يطحنهُ » . ومثل هذا امثال كثيرة ضربها السيّد المسيح لهم كمثل فَلَة الكرم القاتلين لابن ربّ البيت ومثل التينة غير المثمرة وما سوى ذلك ممَّا أنار عليهِ بعض اليهود فاسلموهُ الى الموت

فترى من هذه الوجوه كلّها ان اعتراض المعترض الذي يجحد دعوة السيّد المسيح محتجًّا بكفر اليهود لها لا يجديه نكرانهُ نفعاً بل يزيدهُ اثمًا ان كابر الحقّ واعمى دونهُ بصرهُ

*

فبعد هذه المقدّمات يجوز لنا ان ندخل في موضوعنا فنبيّن الوهية السيّد المسيح رأسًا بدرس حياتهِ واعمالهِ واستنادًا الى ارثق الادلّة نريد بها الاناجيل المقدّسة ثمّ اعمال الرسل ورسائلهم ثم الآثار التاريخيّة الكنسيّة والمدنيّة الباقية من ذلك العهد . ونقسم هذا الدرس فصولًا نثبت في كلّ فصل منهُ لاهوت السيّد المسيح من احد هذه الوجوه

الفصل الاول

الوهيّة المسيح في مولدهِ

معلوم انَّ حياة البشر تبتدئ بمولدهم . وهي لعمري حقيقة لا تحتاج الى اثبات

فمن نكرها عُدَّ ممسوساً بعقلهِ. فهذا نابوليون الكبير. وهذا اوغسطوس قيصر العظيم. وهذا الاسكندر ذو القرنين. ومثلهم اكبر الآباء كنوح وابراهيم واشهر المشترعين والانبياء كموسى وايليا واحكم البشر كسليمان وارسطو. فانهم مع عظم شأنهم وكثرة آثارهم وشهرة اعمالهم ابتدأ عمرهم في نقطة من الزمان سبقها العدم في تاريخهم. فمن بحث عنهم قبل ذلك الوقت اضاع تعبهُ بل قُلْ انهُ فقد شعورهُ

ومع اطّراد هذه القاعدة وُجد لها شذوذ واحد في مدى الادهار. وصحّ الشذوذ في شخص فرد امكنهُ وحدهُ ان يؤكد دون كذب انهُ كان قبل مولدهِ الزمنيّ وقبل انتظامهِ بين مواليد البشر

وما هذا الانسان الوحيد الّا السيد المسيح الذي افتتح يوحنّا البشير انجيلهُ بوصف مولدهِ الازليّ من الآب حيث قال (يو ١: ١ و١٤) : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . . . والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا ونحن ابصرنا مجدهُ مجد وحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقًّا »

ومثلهُ شهد يوحنّا المعمدان المعروف بالسابق بانَّ المسيح المولود بعدهُ قد سبقهُ وهو اقدم منهُ فصرخ قائلًا (يو ١: ١٥) : « هذا هو الذي قُلت عنهُ انَّ الذي يأتي بعدي قد جُعل قبلي لانهُ اقدم منّي ومن امتلائه نحن كلُّنا اخذنا »

وكذلك السيد المسيح صرّح غير مرّةٍ بانهُ كان قبل مولدهِ الزمني فقال لليهود (يو ٨: ٥٦—٥٨) : « ابراهيم ابوكم ابتهج حتى يرى يومي فرأى وفرح . فقال لهُ اليهود : لم يأتِ لك بعد خمسون سنةً وقد رأيت ابراهيم ؟ فقال لهم يسوع : الحقَّ الحقَّ اقول لكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن »

فهذه شواهد اضوأ من النهار او يجب محوها من الاناجيل المقدّسة لكنَّ السماء والارض تزولان وكلمة منها لا تزول او يتحتّم الاقرار بانَّ السيد المسيح هو إله كان قبل مولدهِ البشري في الزمان . وهو القول الصحيح المؤيد بنبوّات الانبياء العديدة فانَّ ميخا مثلًا (٥: ٢) في نبوّتهِ عن مولد المسيح في بيت لحم يصرّح بانَّ هذا المولود « مخارجهُ منذ القديم ومن الأيام الأُوَل » ويعلمنا اشعيا (٩: ٦) ان المولود المنتظر من الشعوب « يدعى اسمهُ عجيباً مشيرًا الهًا جبّارًا أبا الابد رئيس السلام » وكلّ ذلك ما لا يصدق في انسان محض هو ابن يومهِ. كما انَّ لاشعيا ايضاً في نبوّتهِ

عن العذراء الحُبلى (٧ : ١٤) يدعو ابنها « عمانوئيل » اي الله معنا فاثبت بذلك وجودهُ قبل الحبل بهِ ومولدهِ . ومثلهُ قول داود النبيّ عن مولد ابن الله في بدء الدهور (مز ٢ : ٧) عن لسان الآب الازلي: « انت ابني وانا اليوم ولدتُكَ »

فهذه الآيات كلُّها تتوافق في بيان وجود المسيح قبل مولدهِ بالجسد اعني من حيث طبيعتهِ الالهيَّة التي لا يحدُّها الزمان ومن حيث مولدهِ في حضن الآب قبل كلّ الدهور

*

ولو اعتبرتَ الآن خبر مولد السيد المسيح كما رواهُ متَّى ولوقا لوجدتَ امورًا اخرى تثبت الوهيَّتهُ

(اولًا) انَّ ظروف مولدهِ قد عيَّنها الانبياء بكلّ دقَّة. منها المكان كما مرَّ في نبوَّة ميخا . والزمان كما اعلن بالامر دانيال النبيّ . ومنها حالتهُ الفقريَّة في مولدهِ بين الحيوانات (اشعيا ١ : ٣) . وكذلك سجود المجوس لهُ وتقدمة الهدايا في مولدهِ قد تنبأ بها داود فقال (٧٢ : ١٠) : « ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليهِ الالطاف. ملوك شبا وسبا يقرّبون لهُ الهدايا »

(ثانيًا) تجد في مولد السيّد المسيح من المعجزات ما يجعلهُ في مقام لم يعهدهُ البشر فانَّهُ وحدهُ ولد من غير أب ودون زرع بشريّ بفعل الروح القدس بعد ان بشر الملاك بهِ امَّه . هو وحدهُ قد خُصَّ بحضور الملائكة عند مهدهِ وتسبيحهم لله في العلى وتمجيدهم لاسمهِ القدوس وسجودهم لهُ (لوقا ٢ والرسالة الى العبرانيين ١ : ٦) . وحدهُ ايضًا قد سجد لهُ ملوك الشرق وهو في سريرهِ

(ثالثًا) ولا بأس في انَّ السيّد المسيح ولد في حالة الضعف والفقر مضَّجعاً في مذود مقمَّطاً في اللفائف فانَّهُ اختار ذلك من تلقاء نفسهِ اذ جاء ليعلّم البشر الرضى بالفقر والمسكنة والازدراء بغنى العالم وجاه الدنيا فلو اختار ان يولد في قصر الملوك وفي بذخ العيش ألم يكن بذلك ابعد عنهُ الفقراء والرعاة وكذَّب بمثلهِ ما علَّمهُ بلسانهِ. وكم كان اشرف لهُ ان يأتيهُ الملوك فيسجدون لهُ في مغارة بيت لحم من ان يدخلوا اليهِ في بلاط احد الملوك. فتصغيرهم الجباه امامهُ في التراب لأدلّ على رفعتهِ واظهر لمقامهِ السامي من ان يكرم ملوك ملكًا صغيرًا في قصر احد امثالهم

(رابعاً) وزد على ذلك انَّ هؤلاء الملوك لم يحضروا بدعوة بشر ولكن رأوا كوكباً في السماء دلَّهم عليه بلعام احد اجدادهم كآية مجيء المسيح حيث قال (سفر العدد ٢٤ : ١٧) : « اراهُ وليس حاضراً أبصرهُ وليس بقريب . يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل فيحطّم طرفَي موآب . . . ويتسلَّط الذي من يعقوب » فاذ لاح لهم عرفوهُ واسرعوا ملبّين صوت الله ولم يتريَّثوا لدى هيرودس الملك بل للحال اذ أعلمهم الكتبة ورؤساء الكهنة ان بيت لحم هي مكان ولادتهِ نبذوا وراء ظهورهم فخفخة اورشليم وعزَّة ملكها ليرحلوا الى قرية بيت لحم الحقيرة

(خامساً) ثمَّ انَّ في هداياهم ذاتها ما هو اهل بشأن المولود الذي سجدوا لهُ لا كانسان فقط بل كإله . فانهم قدَّموا لهُ اللبان الذي يُحرَق على المذابح اجلالاً للإله كما كان جارياً في هيكل اورشليم كأنهم اعترفوا بلاهوت المولود . ثم اهدوهُ الذهب الذي هو اثمن المعادن واعلاها قدراً فاعترفوا بملكهِ الذي ليس لهُ انقضاء . وقدَّموا ايضاً المرّ الذي كانت تُحنَّط بهِ جُثث الموتى دلالة على انَّهم لم يفصلوا ناسوتهُ عن لاهوتهِ واقرُّوا بكيان طبيعتيهِ الالهيَّة والبشريَّة في اقنومهِ الالهيّ الوحيد .

(سادساً) وماذا نقول بعد ذلك عن دخولهِ الى الهيكل في اليوم الاربعين من ميلادهِ اذ اولى هيكل زربابل شرفاً اعظم من شرف هيكل سليمان كما سبق ودلَّ عليهِ النبيُّ حجّاي (٢ : ٧) : « قال ربُّ الجنود : اني مرَّة بعدُ ازلزلُ جميع الامم ويأتي مشتهى الامم فأملأُ هذا البيت مجداً . . . وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاوَّل قال ربُّ الجنود وفي هذا الموضع أُعطي السلام »

فنسأل كلَّ من هو خالٍ عن الغرض ايُّ بشرٍ وُلد ميلاداً كهذا . اليس هذا كافياً للاعتراف بانَّ المولود إله وابن اله . فهيهات ان يدَّعي انسان بشرف كشرفهِ (له بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

ՍՈՒՐԲ ԳԻՐՔԻ
ԿԱՄ
ԱՌԱՔԵԼՔ ՊԻՇՄԱՆԻ

ترجمة الاناجيل المقدَّسة واعمال الرسل في التركيَّة

طبع بمساعي الآباء اليسوعيين في مطبعتنا الكاثوليكيَّة في بيروت ١٩١٣ ص ٥٧٥)

في عدد سابق (ص ٧٤) ذكرت مجلَّة المشرق العمل المفيد الذي قام به الآباء المرسلون اليسوعيون في جهات الارمن اذ نقلوا الى الارمنيَّة الحديثة الاناجيل الاربعة القانونيَّة مع اعمال الرسل ليتلافوا بذلك الاضرار الناتجة عن الترجمة البروتستانيَّة . لكنَّ اللغة التركيَّة هي شائعة ايضاً في بلاد الارمن ولعلَّها راجحة في بعض النواحي على الارمنيَّة فيحتاج الكاثوليك الى ترجمة العهد الجديد في التركيَّة بدلاً من الترجمة التي اشاعها الاميركان في تلك الولايات . فالمرسلون الكاثوليك تحفَّزوا ايضاً لهذا العمل وانجزوا ترجمة الاناجيل والاعمال في التركيَّة كما فعلوا في الارمنيَّة . على انَّهم قد نشروا هذه الترجمة التركيَّة بالحرف الارمني ليس بالعربيِّ الذي لم يعتده الارمن وقد تحرَّوا جهدهم الدقَّة والضبط في الترجمة مع مراعاة آداب اللغة التركيَّة وهي منقولة عن الاصل اليونانيِّ اجمالاً الَّا في بعض الدقائق التي رجَّحوا فيها الترجمة اللاتينيَّة الرسميَّة وبيَّنوا صوابها في المقدِّمة . وكذلك اضافوا الى الترجمة بعض الشروح المنقولة من اقوال الآباء الاقدمين . ومما يزيد قدر هذه الترجمة انَّ المجمع المقدَّس صادق عليها برقيم تاريخهُ سنة ١٩٠٨ فحالت بعض الاسباب عن نشرها الى الآن

الاب برتولو

M. Rémy. SPIRITES ET ILLUSIONISTES. Paris; A. Leclerc, 1911 pp. 254.

المناجون للارواح والمشعوذون

تألفت في باريس لجنةٌ من العلماء الاثبات بينهم الطبيعيُّون والاطبَّاء والجرَّاحون والفسيولوجيُّون ليدرسوا درساً مدقَّقاً تلك المظاهر التي يكشفها المناجون للارواح في

عاضراتهم والتي يُقبل الناس عليها اقبال الجياع على القصاع وكثُر فيها التال والقيل حتى انَّ عدَّة جرائد في باريس كجريدة للماتين والجرنال وايكو دي باري والاكلير تباحثت فيها فكان يوجب الواحد ما ينكرهُ الآخر . وممَّن دخل في هذه اللجنة رجل راجح العقل واسع للعارف الطبيعيَّة اسمهُ المسيو ريمي كان منذ ٢٩ سنة يراقب اعمال للناجين للارواح ليستطلع اسرارهم ويبيّن ما فيها من الصحَّة او الخرعبلات . وما هذا الكتاب الذي نحن بصددهِ سوى خلاصة مراقباتهِ عرضها في محاضرات القاها امام اعضاء اللجنة وغيرهم في احد مراسح باريس الكبرى سنة ١٩٠٧ ثمَّ زاد عليها ملحوظات جديدة فطبعها منذ عامين . وقد راجعنا هذا الكتاب الذي يلوح من خلالهِ انَّ المؤلف تتبَّع بكل تدقيق حركات المتعاطين مع الارواح والنصَّابين وكشف كثيرًا من اسرارهم المزعومة فاماط عنها الستار . وهذه خلاصة ملحوظاتهِ انَّ خمسين في المئة من المظاهرات للنسوبة الى الارواح ليست الَّا مكرًا وخداعاً ثمَّ انَّ اربعين من الباقي يمكن تعليلهُ بعلل طبيعيَّة سعى المؤلف بوصفها وبيان حقيقتها . فيبقى عشرة في المئة لا يستطاع حملها على العوامل المعروفة في عالمنا فلا بُدَّ انَّ تُنسَب الى علل خارجة عن الطبيعة المحسوسة وان شئت انسبها الى الارواح ليست ارواح موتى كما يُظَنّ ولا ارواح صالحة بل هي ارواح شريرة اتَّفق كلّ الشعوب على خبثها ودعوها بالشياطين . ومما اثبتهُ في كتابه انَّ معظم الذين يتعاطون هذا الفنّ يُصابون بشعورهم او يصابون بامراض عصبيَّة وغيرها تعرّض حياتهم لاعظم الاخطار فحذار حذار من مزاولتهِ الاب ه . ريشار اليسوعي

Realencyklopaedie. Herzog-Hauck. Bd XXIII, pp. 816 et 700, Ergaenzungen und Nachtraege. *Hinrich's, Leipzig,* 1912-1913

دائرة المعارف البروتستانيَّة . الجزء الثالث والعشرون في قسين

بعد انتهاء علماء البروتستانت من دائرة معارفهم الكبرى التي وصفنا اقسامها تباعاً في للشرق (راجع السنة ١٩١٠ ص ٧٢) استجدَّ على هذا التأليف الواسع عدَّة ملحوظات ومعلومات لم يسع اصحابها السكوت عنها . فالحقوا تلك الدائرة بمجلَّدين ضخمين جعلوهما كتتمَّة لعملهم فاصلحوا ونقَّحوا وزادوا وانقصوا كما رأوهُ اقرب الى الحقيقة . وقد راجعنا مقالات عديدة من هذه الملحقات فوجدناها جديرة

بالاعتبار وان كانت موافقة للمذهب البروتستاني . على اننا لحظنا في الكتبة سعيهم بالنزاهة التاريخيَّة ونبذ التطرُّف سواء تكلَّموا عن الكاثوليك او عن غيرهم . فقد اقرُّوا مثلًا انَّ الكنيسة الانكليكانيَّة الطقسيَّة تتقرَّب من الكنيسة الرومانيَّة (ق ١ ص ٤٧) كذلك اقرُّوا بازدياد عدد الكاثوليك في بريطانيَّة العظمى في هذه السنين الاخيرة (ص ٤٠٠) وقد صرَّحوا بان وزارة كومب في فرنسة اساءت في سياستها ولم تنل من اضطهادها للكنيسة الَّا تمكين التحسُّس الدينيّ والتملُّق بالكرسيّ الرسولي (ص ٤٦٢) كما انَّهم أبدوا اسفهم من توفُّر الشيع البروتستانيَّة التي تتناقضّ وتتخاصم وتضعف روح الدين (ص ٤٧٩) . ومما يحتاج الى بعض تحرير قوائم الاحصاءات التي اثبتها المؤلفون عن الشرق والكنائس الشرقيَّة فان كثيرًا منها لا ينطبق مع الواقع . ومثلها ما ارتآه كتبة هذه الدائرة عن بعض الفرنسويين وآرائهم كاولَه لابرون (Ollé-Laprune) وبلوندل (Blondel) اللَّذين نُسبت اليهما اضاليل عصريَّة لم يذهبوا اليها . وعلى كلّ حال اننا نعدّ هذه الدائرة كساعد كبير للدروس التاريخيَّة والذهبيَّة . وفي كلّ مقالة جدول للكتب التي راجعها كلّ كاتب لتسطير مقالته . وكفى بما قلناه دليلًا على رسوخ قدم ارتئك الكتبة في ابحاثهم

الاب ف . تورنيز

تاريخ كلدو واثور

تأليف السيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوريّ

الجزء الاوَّل . طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت (سنة ١٩١٣ ص ١٨٥)

كنَّا ننتظر بفروغ الصبر ان يقوم في شرقنا من يبسط تاريخ الطائفة الكلدانيَّة كما سبق بعض ذوي الهمَّة فكتبوا تاريخ السريان والروم والموارنة والارمن . فها هوذا قد تحقَّق رجاؤنا بل غلب الواقع ظنَّنا فانَّ سيادة المطران ادّي شير الجليل لم يقصر عمله في الطائفة الكلدانيَّة بعد التاريخ المسيحيّ لكنَّهُ حاول ايضًا ان يتحف الشرقيين بمآثر قدماء الكلدان الذين طبَّق ذكرهم المعمور مدَّة الوف من السنين كما شهدت عليه ولا تزال تلك الحفريَّات العجيبة التي تواصلها البعثات العلميَّة في انحاء العراق والعجم دون انقطاع فتستخرج من اعماق الاوض آثارًا يدهش لها التمدُّن المصريّ مع رقيّه وعمرانه . وهذا القسم الاوَّل من كتابه يشمل تاريخ كلدو واثور

في الاجيال السابقة لعهد السيد المسيح الّا بعض ممالك ظهرت في الشرق من بعد موت الاسكندر المقدوني فانّ سيادتهُ تتبعها الى زمن انقراضها بعد للمسيح كمملكة الفرثيين ومملكة اورهاي اي الرها . وقد تحرّى سيادة المؤلف في كلامهِ الرجوع الى كبار المؤرخين الذين كتبوا في زماننا من قلك الدول كالعالم بالعاديّات البابليّة الاستاذ لونورمان في كتابهِ الموسّع في الامم الشرقيّة القديمة وكمشاهير الاثريين في مقدّمتهم المسيو ماسپيرو في تاريخهِ الشرقيّ والمسيو اوپير والمسيو ميتان وكذلك استفاد من المجلّات المختصة بالاثار الشرقيّة كمجلّة الكتاب المقدّس والمجلة الاسيويّة الفرنسويّة . وكثيرًا ما استند سيادتهُ الى مجلّتنا المشرق معربًا عن ثقتهِ بكاتبيها . والكتاب متقن الطبع مزيّن بالتصاوير الجميلة مع خارطة ملوّنة فهو والحقّ يقال من اجود وابدع ما تُزان بهِ المكاتب ويُعطى لطلبة المدارس كجائزة . فنشكر المؤلف على هذه المأثرة النفيسة ونتمنّى ان يطلعنا قريباً عن القسم الباقي . امّا القسم المنتهي فيطلب في بيروت من حضرة الخوري يوسف طويل النائب البطريركي الكلداني وثمنهُ ثلاثة فرنكات دون اجرة البريد ل . ش

كتاب الحياة المثلى في الدعوة الرهبانيّة

نقلهُ الى العربيّة الخورفسقفوس افرام احمر دقته الماردينيّ

طُبع بمطبعة الاتحاد على طريق النهر (بيروت ١٩١٣ ص ١٦٨)

ليس في هذه الحياة دعوة اشرف واجدى نفعاً للمرء من الدعوة الرهبانيّة كيف لا وبها ينقطع الانسان عن ملاذّ هذه العاجلة ويزدري بحطام الدنيا ليصرف وجههُ الى خدمة ربهِ ويهتمّ بالامر الوحيد الذي لأجلهِ خُلق على الارض الّا انّ هذه الدعوة لا يعرف فضلها الّا القليلون ممّن انار الله ابصارهم وأصغوا الى صوت داعيهم . فهذا الكتاب وضعهُ معلم جليل وهو القديس الفونس دي ليكوري لافادة جمهور المسيحيين قاصدًا ان ينبّه افكارهم الى شرف تلك الدعوة وفوائدها الجمّة وما يحفّ بها من الاخطار وكيف يمكن المدعوّين اليها ان يميّزوا ارادة الله ويلبّوا الى ندائهِ ثم يحافظوا على هذا الكنز الثمين اذا ما حصلوا عليهِ . فنعم ما عمل سيادة الخورفسقفوس افرام احمر دقته رئيس الرهبانيّة الافرامية السريانيّة في ماردين بتعريبهِ هذا الكتاب ليعمّ نفعهُ الشرقيين من كل الطوائف وقد اكتسب شكرًا مضاعفاً بزيادتهِ عليهِ

اثرين آخرين احدهما للقديس الفونس المذكور والثاني لاحد نسّاك البلاد الشرقيّة اعني رسالة القديس سمعدونا من كتبة القرن السابع الى راهب نكث نذرهُ وهجر ديرهُ . فنحضّ كلّ الرهبان بل كلّ من يهمُّهُ خلاص نفسهِ ان يطالع هذا الكتاب ويقتبس من انوارهِ ل . ش

La Ligue Maritime, Revue Mensuelle illustrée. Organe officiel de la Ligue Maritime française. 14° *année.* 8, *rue de la Boëtie, Paris VIIF, Revue simple, le N°* Fr 0, 25, *avec Supplément,* Fr 0, 75

﴿ مجلة العهدة البحرية الفرنسوية ﴾ تلطّف اصحاب هذه المجلّة فاتحفونا باعداد نشرتهم التي تصدر مرّة في الشهر وتحتوي مقالات مهمّة ومعلومات واسعة عن النقابة البحريّة الفرنسويّة وعن ترقّي فنّ الملاحة التجاريّة والعسكريّة في كلّ دول اوربّة . وهذه المقالات في الغالب لاختصاصيين من امراء البحر وضبّاط متقاعدين زاولوا سنين طويلة قيادة السُّفن فدرسوا درساً تمامًا كلّ ما يتنوط بالتجارة البحريّة وفنّ الحروب البحريّة . ففي احد الاعداد الاخيرة من هذه المجلّة فصل مستفيض في تجارة الدول البحريّة غير فرنسة . وفيهِ فصل آخر عن اساطيل فرنسة الموجودة في البحر المتوسط يؤخذ منهُ انّ للدولة الفرنسويّة حالًا ثلاثة اساطيل كبيرة تحت قيادة الاميرال دي لابرار (de Lapeyrère) فلكل اسطول ستّ دوارع يقودها نوّاب عن الاميرال او رؤساء مراكب محنّكون . ودوارع الاسطول الاوّل حديثة البناء لم يمضِ عليها سنتان محمولها ١٨,٠٠٠ طنّ تحرّكها آلات تبلغ قوّتها ٢٢,٠٠٠ حصان بخاري وتسير كلها بسرعة ١٩ عقدة بثلث في الساعة . وفي كلّ دارعة اربعة مدافع عيارها ٣٠ سنتمترًا ثم ١٢ مدفعاً آخر عيارها ٢٤ س مثّستة في كل برج اثنين اثنين ثم ١٦ مدفعاً عيارها ٧٥ ملمترًا و ٨ من عيار ٤٧ م ثمّ اسطوانتان لقذف الطوربيل . وكذلك دوارع الاسطول الثاني من حيث سرعتها ومحمولها وعدد مدافعها الكبرى امّا المدافع الوسطى والصغرى فاكثر عددًا لكنّ عيار بعضها دون مدافع الاسطول الاوّل . وهذه الدوارع تاريخ انشائها في سنتي ١٩٠٧, ١٩٠٨ . امّا الاسطول الثالث فدوارعهُ اقدم عهدًا ترقى الى ١٥ سنة وكذلك تسليحها وسرعتها دون الاسطولين الاوّلين وان كانت ايضاً شديدة القوّة .

ثم لفرنسة في البحر المتوسط اسطول آخر اخفّ مركب من ست بوارج مدرّعة تبلغ سرعتها من ٢٢ الى ٢٣ عقدة رأينا بعضها في بيروت كارنست رينان وجول فري وغيرهما. وما عدا هذه الاساطيل الكبرى لفرنسة خمسة أُسيطيلات لكلّ منها ستّ سفن لقذف الطوربيل ومعاكستها. ثم أُسيطيلان مركّبان من ١٧ سفينة غوّاصة. فترى ما للدول من الاستعداد للحروب البحريّة نجّانا الله من ويلاتها

شذرات

فضيحة للماسونيّة — كنّا ظنّنا انّ الماسونيّة بعد ما نشرناهُ من اسرارها السمجة ودفائنها القذرة تعود الى اغرارها وتستر عارها. على انّ النار لا تزال تحت الرماد فترى ابناء الارملة اذا سنحت لهم الفرصة عجّوا وضجّوا علّهم يسترحمون الناس على ارملتهم البائسة التي ينزعون عنها لبس الحداد ويموّهون قبحها بالزخارف الباطلة املًا منهم ان تروج بضاعتها بعد كسادها ويخدعوا بتدجيهم من جهل حقيقة امرها. هذا ما فعلوا مؤخّرًا على تربة احد زعمائهم فبينما كانت كنيستهُ الارثوذكسيّة بصوت اكليروسها تطلب لهُ الغفران قام الماسون ومدحوا مبادئ عشيرتهم التي نعتوها «بالشريعة الحرّة السامية». فجاء مدجيهم قدحًا وثناؤهم شيئًا. فمن جملة تلك الاقوال خطاب «فيلسوف الفريكة» الذي نكر وجود الله في كتبهِ كما بيّنّا وجعل الناس «جرادين لا يفقهون» فاستحق ان ندعوهُ بالجردون الكبير (راجع المشرق ١٣: ٣٩٠) فقال في خطابهِ انّ الماسونيّ «مهما كان قبرهُ مقرًّا ابديًّا كان او جادّة الهيّة لمنّ يقدّسون القبور» (كذا) وقال: «مهما كانت عقيدة المرء الدينيّة او العقليّة في هذه العاجلة الفانية فانّ تقديسهُ الواجب وتفانيهُ في سبيل المجيد ليجعلانهِ من الاتقياء الاطهار والمقرّبين الابرار ولا خوف على هؤلاء في الآخرة ولاهم يحزنون». فنعت الماسونيّة التي تؤمن البشر من كلّ عقاب بتقديسها الواجب اعني بنبذها لكل دين كما فعلتهُ ولا تزال منذ حلول شرورها على الارض ا — ومنها خطاب الدكتور اسعد افندي عفيش الذي زعم «انّ الماسونيّة هي صناعة انشاء الرجال» فمن ليس بماسونيّ اذن ليس برجل لانّ «الماسونيّة امينة على مبدإها تزيل الشرّ وتدفع البؤس

وترّوع الخير وتبثّ الحبّ بين الناس بصرف النظر عن المذهب والوطن » (كذا) . وعليه لا وطن للماسونيّ كما لا دين لهُ . افيوجد مدح اعظم للماسونيّ ولعشيرة البنّائين الاحرار زه ا زه ا — ومنها خطاب « التلميذ الوطني (وقد عرفت انّ لا وطن للماسون) « ميشال ابي شهلا » الذي زعم انّ الماسونيّ اذا قضى سقطت بموتهِ « الزاوية المثلثة لبناء الانسانيّة والواجب » وينير الليل عليهِ « لانّهُ يرى ان نور مآثر الماسونيّ وصفاتهِ وضياء عليهِ تكشف ما يجترمهُ ابناء الظلمة تحت جنحهِ المظلم فيتحيّن الليل الفرص ليوقع بهِ على حين غرّة » (كذا) فيا « تعتير الانسانيّة » اذا مات الماسونيّ !!!

وعقب هذه الخطب مساء السبت الواقع في ١٩ نيسان الاخير خطاب آخر انطبق اسمهُ على مسمّاه « فضيحة الماسونيّة ... خطاب لم يسمع مثلهُ تحت سماء سوريا قدّمهُ خطيب الغرب الشهير الاستاذ جورج اطلس » (كذا بحرفهِ) . وكنّا نعرف ما ستره الخطيب تحت هذا الاسم ليخدع السذّج على عادة ابناء الارملة . ولكن لم ينخدع الّا من شاء من الجهلاء العميان لانّ الخطيب ذو مآثر ادبيّة يعرفها الخاص والعام فاجتمع الماسون لاستماع مديح الماسونيّة المتسترة هذه المرّة بحجاب « الفضيحة » فرأى الحضور انّهُ احسن زيّ لتلك الماهرة وكان معظم الوفود من ابناء الارملة وعددهم لم يبلغ المئة فأنقمت قلّتهم خطيبنا المفوّه الذي افتتح كلامهُ متشكّياً عن جمود الناس وعدم اكتراثهم لخطاب « يقدّمهُ خطيب الغرب ولم يُسمع مثلهُ تحت سماء سوريا » . ثمّ اندفع في الكلام وهام على وجههِ فتكلّم على اشياء كثيرة وما نسيَ الّا بيان ما نوى اثباتهُ اعني مدح الماسونيّة فخاب امل الحضور وخرج ابناء الارملة بعد ساعة يرّفقون ويتقمّصون ويصرخون : يا لفضيحة الماسونيّة !

السيّد افتيموس صيني مؤلف الدلالة اللامعة — بعد ايراد الادلّة نفياً وايجاباً على صاحب كتاب الدلالة اللامعة كنّا ختمنا الجدال بين حضرة الابوين قسطنطين الباشا وجرجس منش بقولنا انّ في ما رويناه الكفاية . على ان حضرة الاب قسطنطين وجد آثاراً جديدة ترّجح رأيهُ فكتب مقالة لتأييد قوله . فاجابةً الى ملتمسه نستخلص منها ادلّتها فقط لضيق المجال

﴿ الدليل الاوّل ﴾ رسالة للمطران افتيموس تاريخها ١٠ حزيران سنة

١٧٠٩ ارسلها الى مجمع انتشار الايمان « يلتمس من احسانه طبع كتاب لهُ مؤلف جديداً يردّ فيه على كتاب لزخريًا بوغانز نُشر في البطريركيّة الانطاكية ويسعى في رفع شأن الكنيسة المقدّسة الرومانيّة » ويصرّح في رسالته بانهُ قد ارسل فهرس الكتاب على يد الرهبان الكبوشيين. وقد وجدنا هناك بالطليانيّة فهرس الجزءين الاوّل والثاني من الكتاب. امّا الجزء الثالث فلم يرسلهُ الّا سنة ١٧٠٧ بعد وقوفه على كتب كان طلبها من محاميه الكردينال سكراپنتي. وكتاب السيّد افتيميوس في المجلد الموسوم بالعدد ٥٠٠ وفيه رسائل مختصة بالروم الملكيين

(*Scritture originali riferiti nelle congregazioni generali Greci Melchiti.* Vol. 550)

﴿ الدليل الثاني ﴾ ثم عاد افتيموس سنة ١٧٠٧ وارسل الكتاب كاملاً مع شمّاسه اسطفان عطاء الله وطلب بواسطة الكردينال سكراپنتي من مجمع انتشار الايمان ان يُطبع « ذاك الكتاب الذي ألّفهُ ». فعرض الكردينال على المجمع مؤكّداً ان الكتاب هو لافتيميوس وذلك في الجلسة المنعقدة في ٢ ايّار سنة ١٧٠٧ وهذا بعض قوله بالحرف:

Monsignore Eutimio arcivescovo Greco Cattolico di Tiro e Sidone ha inviato a Roma un suo diacono per nome Stefano per rendere obedienza alla Santita di Nostro Signore e presentare all' Eminenze Vostre un libro, che il medesimo arcivescovo ha composto contro gli 'errori de Greci e fa istanza . . . che sia stampato (*Acta S. C. P. F. an. 1707, 2 Maii ff. 122*)

﴿ الدليل الثالث ﴾ ثمّ تأخر طبع الكتاب مدّة لاسباب لا نعلمها فتكرّر ذكرهُ ثانية وثالثة في جلستين عُقدتا في ٧ ايّار ١٧٠٨ و ١٦ نيسان ١٧٠٩ وفي كلتيهما يقال انّ الكتاب « تأليف افتيميوس »

« . . . suo libro da lui composto conra gli 'errori de Greci, (*Acta S. C. P. F. an 1709; 16 April.* fol. 180)

﴿ الدليل الرابع ﴾ ولمّا نجز طبع الكتاب واستلم نسخهُ الشمّاس اسطفان قدّم المذكور عريضة شكر فيها المجمع المقدّس والتمس ان يُسمح لهُ بالعودة الى وطنه فقُرئت العريضة في الجلسة التي صارت في ٢٨ تموز سنة ١٧١٠ وفيها ذُكر ايضاً اسم المطران افتيميوس كمؤلف كتاب الدلالة اللامعة

« essendo gia compita la stampa del libro composto dal detto prelato »
(*Acta S. C. P. F. an. 1715, 28 Jul.*, fol. 290)

فبعد هذه الادلّة لا يبقى شبهة في انّ كتاب الدلالة هو للسيّد افتيميوس صيفي والسلام

﴿ الصحافة الكاثوليكيّة والمجالة البلقانيّة ﴾ عادت الكلمة في عددها الثالث من السنة الحالية (ص ١٣٤) فحاولت ان تبيّن ان الصحافة الكاثوليكيّة تنصر الهلال على الصليب كما فعلته سابقاً فزيّفنا اقوالها فتبيّن انّ الكاثوليك في هذا الامر قد ذهبوا مذاهب شتى كلّ على مقتضى سياسته او نزعاته . ومن اقوالها الكاذبة (وقد رأيت انّ الكذب ديدنها) والسخيفة معاً قولها (ص ١٣٦) « بان البابا البروتسطاني اي غليوم الثاني امبراطور المانية (كذا) كان دوماً يتودّد الى خليفة النبي على انّ البابا الروماني ايضاً لم يكن اقلّ تودّداً الى هذا الخليفة من البابا البروتسطانيّ بل كانا كلاهما يتنافسان في هذا التودّد » فانظر يا رعاك الله كيف يتكلّم الاستف هواويني عن اكبر سلطة ادبيّة في العالم . واكذب من ذلك قولهُ مروياً عن جريدة «نوفويه فرميا» قال انّ : «حلمي باشا سفير تركيا في ڤينّا قد بعث الى الباب العالي باعلام سرّي قال فيه ان البابا بيوس العاشر بإلحاح من النمسا قد بعث بمذكرة الى حكومات جرمانيا والنمسا وايطاليا يظهر فيها املهُ الوطيد بان حكومات المجالة الثلاثيّة سوف يبذلون جهدهم في ان تكون مدينة سكوتاري داخلة في حدود المملكة الالبانيّة المنوي تأسيسها . . . ». فتنشدك الله ايها السيّد الهواويني اتصدّق سفاسف كهذه ؟ وان لم تصدّقها فكيف يمكنك ان تنشرها ؟ فهب ان البابا كتب الى امبراطور النمسا فهل يُحتمل القول انهُ كتب ايضاً الى ملك ايطاليا المحروم والى امبراطور جرمانيا « البابا البروتستاني » ؟ . وما لك لم تقل انهُ كتب الى قيصر روسيّة والى ملك انكلترة ورئيس جمهوريّة فرنسة وكلهم الآن يريدون ان اشتوديه تبقى لالبانيا المستقلّة ! فايّ متى يعقل محرّر الكلمة فلا ينقاد الى تعصّبهِ الاعمى ضدّ الكنيسة الرومانيّة امّ كلّ الكنائس ورأسها شاء ام أبى كما اقرّ بهِ كلّ قديسي الكنيسة اليونانيّة كيوحنّا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وشهاداتهم كافية لتفحم كلّ منفصل عن كنيسة المسيح الوحيدة

ارتداد رهبان انكليكان الى الكثلكة — كلّ يعرف ان الكنيسة الانكليكانيّة في ازمة دينيّة لا تزال تضايقها منذ رأى علماؤها المنصفون انّها خرجت عن سراطها المستقيم يوم تبعت ملكها هنريكوس الثامن الذي القاها في لجّة الضلال . ومن ثمّ لا تمرّ عليها سنة الّا يرعوي كثيرون من ذويها ولاسيما وجوهها الى الكثلكة . وممن نبذوا آخرًا الشيعة البروتستانيّة بعض تبعتها ممن تقلّدوا بالرهبان الكاثوليك فاخذوا منذ السنة ١٨٩٨ يأتمّون بهم ويقتدون برسومهم وقوانينهم وصلواتهم القانونيّة على طريقة الرهبانيّة البندكتيّة وتشبّهاً بالقديس اوغسطينوس رسول الانكليز . وكان رئيسهم الاب كارليل (Erled Carlyle) قد نذر النذور الرهبانيّة على يد رئيس اساقفة كنتوربري الدكتور تمپل الانكليكاني . ثم تكهّن الرئيس المذكور وانضمّ اليه غيره من الرهبان فسكنوا ديرًا في معاملة يوركشير في بلدة پنسثورب (Painsthorpe) ثم انتقلوا الى جزيرة صغيرة تُدعى كلدي (Caldey) في سواحل البحر الشمالي . وعلى مثالهم أُنشئ دير للراهبات في ميلفورد هافن (Milford-Haven) . فهؤلاء الرهبان والراهبات لم يزالوا يتنسكون بممارسة الفضائل الرهبانيّة والانكليكان يفتخرون بهم بازاء الكاثوليك حتى انارهم الله آخرًا فعرفوا حق المعرفة انّهم ما داموا في الكنيسة البروتستانيّة ليسوا على طريق الخلاص فنبذوا كلهم الشيعة الانكليكانيّة وطلبوا الدخول في الكنيسة الرومانيّة بعد الفحص القانونيّ ورياضة استعداديّة ومجاهرتهم بكل المعتقدات الكاثوليكية نالوا الحلّ عن الهرطقة على يد الاب دون كام . R. P.) (Dom Camm الراهب الانكليزي البندكتي برخصة الحبر الاعظم وتمّ انضمامهم الى الكنيسة الكاثوليكية في ٥ اذار الماضي في حفلة القداس الذي اقامه مطران مناثيا الكاثوليكي . وعدد الرهبان اثنان وعشرون . وفي اليوم التالي جعدت الراهبات الاضاليل البروتستانيّة وعددهن ٣٧ راهبة . وقد ارسل الكردينال مري دلقال على لسان البرق تهنئة للمرتدين مع بركة قداسة البابا متمنيًا لهم الثبات

حركة الافكار في الصين — منذ دخلت الصين في عداد الجمهوريّات اصبحت في حالة من قام من نومه بعد سُبات طويل . وقد افادنا احد مرسلي رهبانيّتنا في شنغاي انّ وجوه تلك الحاضرة الوثنيين بعد ازدرائهم بالاوربيين

اخذوا يشخصون اليهم كما فعل اهل اليابان ليدرسوا اعمالهم ويقتنوا بهم . ومما لستوقف انظارهم خصوصاً اعمال المرسلين الكاثوليك ومشروعاتهم الخيريّة العديدة مع تواضع رهبانهم ورواهبهم وتفانيهم في خدمة الصينيين وحسن سيرة المتنصرين على يدهم. ومن غريب ما حدث هناك في غرّة السنة الجارية انّ اعيان المدينة من نصارى ووثنيين اولموا وليمة فاخرة دعوا اليها السيّد باريس (M^gr Paris) اسقف شنغاي اليسوعيّ وبعض رؤساء الكليّة الكاثوليكيّة ومرصدها الفلكي فأثنوا في غضونها على همّة المرسلين وشكروا مساعيهم الجليلة وفضّلوها على كلّ اعمال سواهم من الاجانب. وكان من جملة المتكلّمين حاكم المدينة الوثنيّ المسمّى « اوتاي هيان » الذي اطرأ مشروعات المرسلين التي انشأوها ليس فقط لخدمة الاجساد كالمياتم والمستشفيات ودور العَجَزة ولكن على الاخصّ مشروعاتهم لتهذيب العقول وتعليم الآداب في مدارسهم ومرصدهم الفلكيّ ومطبعتهم التي نشرت كتباً لا يحصى عددها فأثّر هذا الكلام في وصفائهم الوثنيين ايّ تأثير وكان من جملتهم « ونغ يا تساي » قاضي المدينة و « سوتساه » رئيس الشرط العام والجنرال « لي » و « ياوتساي زنغ » رئيس البلديّة . وكلّهم وافقوا على كلام الخطيب واقاضوا في مدح المرسلين الكاثوليك الذين منذ ٣٥٠ سنة لم يثبطهم شيء في خدمة الصين. وكان بين الحضور رئيس شركة الترامواي والكهرباء الصينيّة المدعوّ « لوياونغ » و « نيقولا تسو » صاحب معمل كبير لتجهيز الادوات المعدنيّة ورئيس البنك الهندوصيني وكلاهما من الكاثوليك وغيرهما ايضاً الذين بعد الغداء عرضوا على وصفائهم الوثنيين زيارة دار العجزة فرأوا فيها ما خلب عقولهم من الترتيب والنظافة وكمال الاهبة فاستقبلهم ٣٠٠ منهم بعضهم نصارى وبعضهم وثنيّون وشكروا كلّ الشكر رحمة الراهبات اليهم اذ يخدمنهم خدمة ارأف الأمهات على اعزّ اولادهن . ولم يخرج احد من المدعوّين الّا بعد ان اكتتبوا بمبالغ وافرة لاولئك المساكين واتّفقوا على ان يفتحوا مستشفى جديداً يسلّمون تدبيره الى راهبات العجزة الكاثوليكيّات لاسيما اذ علموا انّ تلك الرهبانية مع حداثة عهدها بلغ عدد راهباتها في اوربّة ٤٠٠٠ راهبة يعتنين بتمريض ٤٧,٠٠٠ عاجز او مريض. واذ رأى اعيان الوثنيين تلك الاعمال التي كانوا سمعوا عنها دون النظر اليها ارادوا ان يدرسوا هم ايضاً تعاليم الدين

النصرانيّ فاقترحوا على سيادة الطران باريس بان ينشئ لهم مكتبةً يجعل فيها اهمّ الكتب النصرانية ليطّلعوا عليها . فاسرع الاسقف واجاب الى ملتمسهم

منبع نهر الكنج نهر الكنج من اكبر انهار الهند . واوّل من عرّف اصل ينابيعه الاب اليسوعي انطون دي أندراد فتبعهُ من هردوار الى مخرجهِ في جبال حملايا سنة ١٦٢٤ واكّد في تاريخ رحلتهِ انّ نهر الكنج يخرج من بُحيْرَة . فلمّا كانت السنة ١٨٠٧ رحل الضابطان الانكليزيان روپر وڤاب (Roper et Webb) الى الهند وبحثا عن ينابيع ذاك النهر فزعما انّ الاب دي اندراد خلط بين نهرين فنسب الى نهر الكنج ما لا يصحّ الّا على نهر سوتلج الذي اصلهُ من بُحيْرَة مناسروار امّا الكنج فلا يخرج من بحيرة . فشاعت هذه الرواية وأهمل رأي الاب دي اندراد حتّى قام في العام الماضي الاستاذ ڤسلس (Professeur Wessels) من علماء هولندة فبيّن صحّة قول الاب دي اندراد عن مخارج نهر الكنج الذي تخرج شعبةٌ كبيرة منهُ من بحيرة اسمها ڤشنوگنگا اي « كنج الاله ڤشنو » . وكتب في ذلك كرّاساً في الالمانيّة نفى فيهِ كلّ ريب من هذا القبيل وبهِ ثبت انّ احد المرسلين انكاثوليك سبق فعرّف قبل غيرهِ بنحو مائتي عام اصول نهر الكنج . كما اثبت في زمانهِ يسوعيّ آخر وهو الاب سيكار (P. Sicard) منبع نهر النيل من البحيرات الواقعة عند خط الاستواء

زيارة رئيس الولايات المتحدة لكلّيّة كَرْيتون روى البشير آخرًا زيارة وداع المستر تافت رئيس الولايات المتّحدة الاخير لكلّيّة الآباء اليسوعيين في جورجتون في ٢ اذار . وقد اراد الرئيس الجديد المستر وِلسون ان يظهر اعتبارهُ لهم فزار كلّيّتهم في كَرْيتون (Creighton) من معاملة اوماها فاستقبلهُ رئيسها وتلامذتها بحضور الجنرال سميث احد المتخرّجين في الكلّيّة فرحّبوا بهِ وهنّأوهُ على رتبتهِ السامية فاجاب مثنياً على اساتذة المدرسة الذين يعدّون للوطن رجالًا يكونون عمّا قريب فخرهُ وعضدهُ

مكتبة كاثوليكيّة سرّنا خبر انشاء مكتبة كاثوليكيّة عموميّة في البلد بهمّة جمعيّة طوبيًا البار المارونيّة بجانب كنيسة مار مارون . وهو امرٌ كنّا نتوق اليهِ من امد طويل فنتمنّى لهذا العمل كلّ نجاح ونطلب من كلّ ذوي

الاريحيّة ان يعضدوهُ كي تصبح هذه المكتبة جامعة لكل ما يحتاج اليهِ الادباء لدروسهم وترويح بالهم

اسئلة واجوبة

س سأل الاديب ش ر من حلب من رأينا في ما كتبهُ صاحبا المقتطف في عددهما الاخير الصادر في نيسان ١٩١٣ (ص ٣٥٣) حيث قالا: « اكتُشفت اكتشافات تدلُّ على انَّ الانسان كان منتشرًا في اوربّا وجزيرة جاوى وما بينها من البلدان منذ نحو مئة الف سنة الى مليون سنة وانهُ كان على انواع مختلفة في ذلك العهد »

قدم الانسان

ج هذا منقول عن قوم يتسرَّعون في الحكم فيستنتجون النتائج من مقدّمات غير ثابتة . وان شاء الله نعود الى هذا البحث قريباً ونذكر اصدق ما تحقَّقهُ العلماء الاثبات . وهنا نكرّر ما قلناهُ غير مرَّة ولو ثبت بالادلَّة القنعة الراهنة انَّ الانسان وُجد على الارض منذ مئة الف سنة بنيف فهذا لا يمسُّ صحَّة التوراة لأنَّ احصاءات التوراة قد تضاربت فيها الآراء. ومن المحتمل ان سلسلة الآباء الاوَّلين ليست بتواصلة كما يظهر من شجرة نسب السيد المسيح في القديس لوقا التي تزيد حلقةً عليها لا ذكر لها في توراة موسى

س وسأل من الخرطوم يعقوب افندي مرعي : ١ً ايجوز للكاهن ان يحذف بعض صلوات القداس بداعي العجلة او لعدم معرفتها غيباً . ٢ً كم يجب ان تكون اغطية المذبح

صلوات القداس — اغطية المذبح

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ الكاهن يخطئ اذا اهمل شيئاً من صلوات كنيستهِ في القداس ما لم تكن بعض هذه الصلوات اختياريَّة مسموح للكهنة ان يتلوها او لا . وان جهل منها شيئاً فليتعلَّمهُ غيباً او يستعين بكتاب — وعلى (الثاني) بان العادة المألوفة في الكنيسة الرومانيَّة ان تُبسط فوق المذبح ثلاثة اغطية من كتَّان يمتدّ اعلاها على جانبي المذبح . ويجوز غطاءان يكون الاسفل مطويًّا . وقد قال البطريرك الدويهي في منارة الاقداس (ج ١ ص ١٤٩) انَّ الشرقيّين يتخذون هذه الاغطية من كتَّان او من قطن